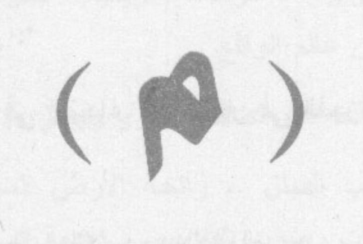


مشروع القرن الثقافى
روايات مصرية للجيب
فى كل رواية متعة دائمة
ما وراء الطبيعة
80 (2)
أسطورة الأساطير
(الجزء الثانى)
د. أحمد خالد توفيق


(م)


محادثة

– 1 –

سؤال مصيرى :

هل هو سعار فى الضياء ؟ أم سعار فى الفجر ؟ أم هو سعار فى العتم ؟

الإجابة تقرر مصير الكثير من الأشياء ...

* * *

أنت تعرف أننى اجتزت الباب الغامض ..

تعرف أننى عبرت النهر الذى تتشابك فوقه أغصان نبات ما ، وتسبح فوق مائه ألف جزيرة من ورد النيل . هذا نهر كأى نهر آخر لو كان لون ماء الأنهار أحمر ..

انعكاس الوجه فى صفحة الماء يذوب .. يتحول لألف صورة تتلوى وتبكى ألمًا ، وكأنها أرواح الخطاة تسبح فى بركة من الحمم ...

تعرف أن المعداوى الذى يشبه (شارون) فى الأساطير الإغريقية لم ينطق بحرف . نهر ستيكس .. خطر لى هذا ، لكنه بالطبع غير وارد .. خرافات إغريقية كانوا يعتبرونها دينًا فلا محل لها من عالم الواقع .

الزورق يتوقف عند الضفة الأخرى ويهتز ..

رائحة العشب المبلل .. رائحة الأرض المحروثة .. رائحة أنفاس البرمائيات وصوت العلاجيم .. رائحة الدم ...

أخطو فى الماء الأحمر الذى يبلغ ركبتى . أنظر للخلف فلا أرى الزورق ولا المعداوى . أخطو فتتساقط كرات اللهب من السماء .. أخطو فترتجف الثعابين فى جحورها .. اخطو فيثب قلبى مرتين ..

أنا لا أحلم ..

أعرف أننى لا أحلم ..

كل هذا حقيقى تمامًا مثل وجودى وملمس الماء الأحمر ورائحته .

لقد مت .. لا شك فى هذا . كان الانتقال سهلاً إذن ، ولم أتألم .... تقريبًا . الموت بطريقة (الآن تراه ـ الآن لا تراه) . أنا اجتزت البوابة ويمكننى أن أقول لك إنها محاولة سهلة .

لكن شيئًا فى الأعماق .. شيئًا تحت جلد رأسى وبين خلايا مخى ، كان يصارحنى بالحقيقة : أنت لم تمت .. ليس هذا هو العالم الآخر . ليست هذه هى الأرض التى تكلم عنها الفلاسفة والشعراء وآمن بها الأنبياء . أنت تعرف أن هذا ليس العالم الآخر . أنت ما زلت حيًا يا صاحبى .

إذن أين أنا ؟... الإجابة واضحة : لا أدرى ..

مشيت ومشيت شاعرًا أن ما تحت قدمى ليس أرضًا بل هو إلى القطن الأبيض أقرب . طراوة تراودك عن نفسك .. طراوة كآلاف أذرع مخملية لعذارى من عوالم الحلم . طراوة تغريك بأن ترقد على الأرض وتموت ... لكن كيف تموت إن كان هذا هو الموت ذاته ؟

أن تذوب لتجد نفسك فى إحدى قصائد ت . س . اليوت أو ميلتون .. هذا هو الموقف بالضبط .. هكذا يكون ملمس القصائد تحت القدمين ..

هكذا يكون ملمس القصائد تحت القدمين ..

ثم سمعت العواء من بعيد ..

أنا أعرف عواء المذءوبين وسمعته عشرات المرات ، لكن هذا ليس عواء مذءوب .. إنه عواء ذئب حقيقى وربما كلب .

استدرت للخلف لأرى فلمحت ذلك الشىء قادمًا نحوى .. يثب فوق الحفر .. خيط رغوى من اللعاب يتطاير من فيه ويطير خلفه . شعر عنقه منتفش وكل شىء يشى بشراسة لا شك فيها ، وسمعت صوت البير المغرى يقول :

ـ « استسلم له !.. استسلم حتى لا تطول معاناتك أيها الفانى .. »

لوسيفر ينصحنى بأن أستسلم ، وهذا معناه أن أفعل أى شىء سوى ذلك . عندما أدقق النظر أكثر أدرك أن هذا الذى يطاردنى هو كلب أحمر اللون .. كلب له لون الدم المؤكسج لو كنت تذكر دروس الأحياء . حجمه يقترب نوعًا من حجم عجل صغير .

الكلب الأحمر .. لقد عرفته من قبل فى حياتى وحسبت أننى قهرته ، لكنه هنا .. وهو مصر على الظفر بى .

سقطت على الأرض ...

جوار أناملى وجدت علبة ثقاب .. هناك جركن من البلاستيك تفوح منه رائحة البنزين . مـن وضع هـذا هنا ؟.. وهل من رسالة أوضح وأبلغ ؟

تعلقت بجذع الشجرة ، وعندما اقترب هذا الشىء المخيف أفرغت السائل عليه . الموت له رائحة البنزين . كاد أن يقضم ساقى لولا أننى تسلقت بسرعة أكثر . من أين أتيت بهذه الرشاقة ؟.. يبدو بالفعل أننى تخففت من أعباء الجسد .. اللحظة التى وصفها كل من .....

وصفها ؟.. لا .. تخيلها الجميع . لم يعد أحد من هناك ليحكى ما رآه .

لكنى كنت أعرف أننى حى ..

هناك من مكان قصى لا وجود له ، دوى الصوت الهادر :

ـ « أنت ما زلت حيًا .. لم تأت ساعتك بعد .. »

ورأيت ألسنة النار تتمسك بالكلب .. يعوى ويتلوى جاريًا .. كلب أحمر يحتضر .. مشهد جدير بالكوابيس ، لكن من قال إن هذا ليس كابوسًا ؟

أراه يركض .. يتواثب ، وهو لا ينبح بالطريقة الرفيعة المثيرة للشفقة التى تسمعه من الكلاب المحترقة ، لكنه يزأر فترتج الأشجار ... يزأر فتهوى الشهب . يزأر فتفنى الأعشاب ..

لم تأت ساعتك بعد .. لكنها اقتربت كثيرًا بالتأكيد ..

أرمق غصن الشجرة الغليظ يتحرك .. هذا ثعبان عملاق مغطى بالحراشف ، وقد استيقظ الآن معلنًا عن مجيئه ، وعن أن اللحظة قد جاءت . لكنه لا يبالى بى ويزحف مبتعدًا ...

أنت فى أرض الأحلام أيها الفانى .. العالم الذى يتجاوز قوانين الفيزياء والطبيعة . العالم الذى ظل بقربك منذ ولدت . بل هو فى ذات الغرفة التى تعيش فيها .. إنه فى فراشك .. لكنه على موجة أخرى فلا ترى من فيه ولا يراك من فيه .. فقط مخلوقات نادرة تقدر على الانتقال بين العالمين . بعض الجان .. بعض الساحرات .. التاليسات .. بنات آوى . أنت لا تعرف التاليسات ومن حسن حظك أنك لا تعرفها . أما بنات آوى فبعض البشر يعرف الحقيقة .. أنت تجلس وحيدًا فى الصحراء المظلمة ، وفى لحظة ترى ابن آوى مقعيًا على الرمال ينظر لك .. بعد لحظة تجده قد اختفى ولا تعرف كيف ولا أين . قليلون يعرفون أنه اجتاز الفجوة وانتقل لعالم آخر .

أنزل من على الشجرة وأبحث حولى فى حذر ...

يجب أن أجد طريقًا .. طريقًا يقود لماذا ؟ لا أعرف .. لا أبحث عن أحد ولا أعرف لى وجهة فى أرض كهذه .. الشرق الغرب الشمال الجنوب .. كلها تتساوى .. لا خطر أفر منه أو ملجأ أفر له ... أنا ذرة غبار تتقاذفها العواصف ، مع فارق بسيط هو أن ذرة الغبار تدرك أنها تنتمى للأرض .

عندما مشيت بضع خطوات وجدت بلطة ..

بلطة قصيرة يبدو أن حطابًا محترفًا كان يستعملها .. لا أعرف ما هى لكن من الجلى أنها تصلح سلاحًا ممتازًا ... هذا عالم غامض غريب فيه بلطات .. إذن عندما تجد واحدة فلابد أن تأخذها . لا يوجد مزاح هنا ...

سوف أمشى بلا وجهة ما .. ربما أجد ثغرة تقودنى لعالم الأحياء الذى أعرفه ..

* * *

كاتى ديد ... كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد ... كاتى ديد .. كاتى ديد ..

* * *

كنت هناك راقدًا فى المستشفى عندما جاءت ماجى ، ويبدو أنها كانت جالسة فى الردهة تطالع كتابًا ما .. كانت مرهقة محمرة العينين ، وحالها ــ إذا سمحت لى بالتعبير العامى الصادم ــ (زى الطين) ، لكنها تبتسم ابتسامة مشرقة نضرة رسمتها رسمًا .. قالت لى :

ــ « هل نمت جيدًا ؟ »

لا أذكر أننى نمت جيدًا وهذا معناه ــ على الأرجح ــ أننى نمت جيدًا فعلاً . أفضل النوم هو الذى لا تذكر بعده كيف نمت .. هززت رأسى أن نعم واعتدلت فى الفراش .

فتحت الستائر ليتسلل الضوء الخافت الواهن المميز للعصر إلى الغرفة ، ونظرت من حولى .. دورق الماء .. علبة الدواء .. العوينات ... أزهار فى دورق صغير .. الجريدة .. لوحة جديرة بفنان تأثيرى خاصة فى هذا الضوء الشاحب ، وهى جديرة بأن يكون اسمها (الاحتضار) .

« ونظارتاه .. أيسلو الزجاج عيونًا أشف من المغرب ؟ » بيت شعر لنزار قبانى بعد موت أبيه .. مشهد العوينات الموضوعة على الكومود يقول أشياء كثيرة .

كنت أفكر فى عمق .... هناك أشياء مهمة جدًا تتعلق بالأمسية السابقة ، لكنى لا أذكر حرفًا .. كلام كثير عن خطاب وصفقة و ... لكن ما هى التفاصيل ؟

قالت لى وهى تجلس إلى طرف الفراش :

ـ « هناك ضيف غربى ينتظرك فى الخارج ... »

ـ « غربى ؟ »

قالت باسمة :

ـ « ليس غربيًا بالضبط .. له طابع شرق أوروبا بوضوح .. »

لوسيفر !

هل جاء كى يتشفى فى ، أو يعرض صفقته الأخيرة ؟ ليس هذا ما اعتقدت أنه مسار الأمور . هو يعرف أننى سأموت وسوف يكون الكتاب له فى ذات اللحظة ..

قلت لها فى توجس :

ـ « يلبس ثيابًا سودًا تمامًا واسمه دكتور .... »

قالت تكمل كلامى :

ـ « ميلفسكو .. د . ميخائيل ميلفسكو .. هذا ما قاله .. »

أذكر هذا الاسم .. ما زالت ذاكرتى تعمل جيدًا أغلب الوقت . صحيح أنها تتلف كثيرًا وتمحى كثيرًا لكنى أعرف الرجل وأعرف التجربة ..

ساحر رومانى وعدنى بالشباب منذ أعوام ، ولم أدر أنه زرع جعرانًا فرعونيًا تحت جلدى . النتيجـــة هى أننى ظللت أصغر وأتراجع فى العمر ... صرت أكثر شبابًا ثم أكثر نزقًا ثم أكثر طفولة وسخفًا ، حتى جاءت مرحلة تغيير الكافولة التى قام بها أستاذ فى الفلسفة هى كاميليا ..

عرفته بفضل سام كولبى . وسام كولبى قد رحل للأبد إلى عالم آخر بلا آلام بروستاتا .. من يدرى ؟.. لربما كان ينتظرنى هناك ..

اليوم بعد أعوام يعود د . ميلفسكو .. ليس من الصعب أن أستنتج من كتب لى خطاب أمس.

ـ « أين هو ؟ »

ـ « ينتظرك فى الاستراحة . لو شئت أن آتى به هنا .. »

لكنى لم أحب أن يدخل محراب الموت الخاص بى .. لا أريد للمحراب أن يتدنس ...

هكذا وضعت الروب على كتفى ، وتوكأت على ماجى وخرجنا للممشى .

رأيت الجسد الضخم الجالس على مقعد وتذكرته على الفور . لم يكن ضخمًا فى الحقيقة لكن وجهه كبير جدًّا .. أى أنك تكمل الصورة فى ذهنك فتفترض أن صاحب هذا الوجه لابد أنه فى حجم كينج كونج .. لكنك تكتشف أنه ليس عملاقًا بشكل خاص .. لو كان جسده أصغر من هذا لاستحق لقب القمىء ..

هو نفسه ... نفس الوجه الذى قابلته فى نيويورك فى ذلك اليوم ..

أحاطت كفه الغليظة المكتنزة بكفى وقال بطريقته الإنجليزية الرومانية المميزة :

ـ « يا للسماء .. أنت فقدت الكثير من الوزن .. »

قلت باسمًا وأنا أتهيأ للجلوس :

ـ « أفعل كل شىء بذمة وأمانة .. عندما أصاب بالسرطان فأنا أصاب به جدًّا .. ليس كهؤلاء الأشخاص المتوردين المرحين الذين يزعمون أنهم مصابون بالسرطان .. أرى هذا شيئًا رقيعًا ! »

لم يفهم طريقتى فى المزاح .. فقط أبدى تعاطفًا واضحًا ..

وعندما جلست أمامه نظرت لماجى طالبًا أن تسمح لنا بالانفراد ، فهزت رأسها وابتعدت وقد بدا عليها الشك .. ثمة لعب عفن هنا كما لابد أنها تقول لنفسها ...

ساد صمت ثقيل .. كنت أجاهد كى أجد أنفاسى وسط رياح عطره الخانق . لابد أنهم يصنعون العطور الرومانية من الجثث المتحللة .. جثث الكلاب طبعًا .. ثم قلت له :

ـ « لا تقل إنك جئت خصيصًا لمصر من أجلى . كل هذه المسافة ... »

قال وعيناه لا تفارقان وجهى :

ـ « بالفعل .. الأنباء فى عوالم السحرة تنتقل بسرعة .. كلهم يقولون : إنك موشك على الموت .. اسمك قد ذكر فى كل بنورة

سحرية وكل أوراق تاروت وجلسة استحضار أرواح فى العالم مؤخرًا .. »

ــ « هل أنا مهم لهذا الحد ؟ »

قال ببساطة :

ــ « لا قيمة لك على الإطلاق .. أنت جناح بعوضة لا أكثر ، لكن ذلك الكتاب الذى تربطه إلى جسدك هو ما يريده الجميع .. »

وضعت ساقًا على ساق ورحت أرمق الخف المتدلى متأرجحًا وقلت :

ــ « سوف أموت . وعندها يفوز به من يريد .. لا أعرف سر هذا التعقيد .. »

قال د . ميلفسكو :

ــ « لن يكون الأمر سهلاً ... قوى الظلام تنتظر كى تحصل على الكتاب .. لن تسمح لأى بشرى فان بأن يحصل عليه ... أمثالى سيصيرون غبارًا تذروه الريح لو حاولوا ... لا يوجد حل لى سوى أن تعطينى الكتاب بكامل إرادتك ... هذا سيجعلنى منيعًا

ولن يستطيع سادة جانب النجوم أن يظفروا به .. لوسيفر لن يمس شعرة من رأسى .. »

ــ « ورأسى أنا ؟ »

ضحك واهتز كرشه العملاق قليلاً وسعل ثم قال :

ــ « لن يمس أحد شعرة من رأسك .. أنت ورقة انتهت .. عندما أكون فى سهول رومانيا أمارس صيد الأرانب فأنا لا أبدد رصاص بندقيتى لاصطياد أرنب يحتضر بالفعل ... »

ــ « أنت تتجاهل نزعة مهمة فى الحياة : السادية .. هناك من يحب أن يركل هذا الأرنب ويمزقه وهو ما زال حيًّا .. »

ــ « لا أعتقد .. إن السرطان يحمل لك آلامًا هائلة ، ومن يملك بعض السادية سيفضل أن يتركك له .. إنه ينهى أمرك بشكل أفضل .. »

محادثة مبهجة باسمة جدًّا كما ترى ..

قال د . ميلفسكو وهو يطلق المزيد من العطر الرومانى اللعين :

ــ « الكتاب .. وسوف تنجو .... »

ــ « أنجو ؟ »

ــ « نعم .. لدى القدرة على نزع السرطان من جسدك .. سوف تقهره .. أنت تعرف أننى أستطيع .. »

يستطيع .. هذا صحيح ....

قلت ساخرًا على سبيل المشاكسة لا أكثر :

ــ « آخر مرة جربت معى جعرانًا فرعونيًا تحت الجلد .. »

ــ « ونجح .. أعتقد أنه كان ناجحًا أكثر من اللازم فى الواقع ، لكنك الآن تفهم ما أنا قادر عليه .... »

ــ « وهل لى أن أعرف لمحة عن الطريقة ؟ »

اهتز لغده العملاق فى ضحكة مكتومة وقال :

ــ « يمكننى أن أخبرك بالأمر . فلا أحد سواى يمكنه أن يجرب هذه الطريقة .. »

وفى اللحظات التالية شرح لى طريقة المعالجة التى ينتويها .. بدا لى الأمر ممكنًا فعلاً . ثمة نوع من المنطق فى طريقته . لم لا ؟... ماذا يهمنى من ذلك الكتاب اللعين ؟.. هو ليس كرامتى

ولا شرفى ولا دينى ولا مبادئى . كتاب يخص الشياطين ترغب فيه الشياطين .. فلتأخذه !

ماذا يهمنى ؟.. ولماذا أتعذب وأتلوى ألمًا من أجل شىء لا يهمنى ؟

وهكذا وافقت ..

وهكذا حددنا مساء اليوم لنبدأ العلاج فى غرفتى ..

* * *

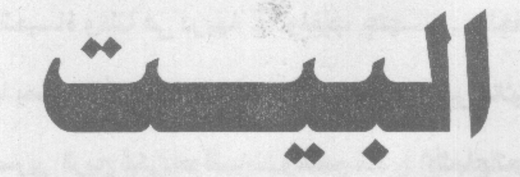
تمضى الحيــاة وكلنا فى دربها .. ونغيب عنهــا .. والخطى لا تندثرْ

من قبلنا يمشى الألى جاءوا بنا .. مــن بعــدنا يفنى ملاييــن البشرْ

فاسمع صرير الريح تبكى حولنــا .. واسمع صدى الأشباح تعوى فى سقرْ

* * *

(ا)



ـ 1 ـ

أنــت فى زانادو أيها المحــارب حيــث تفنى الحقائق وتحيا الأحــلام ..

* * *

ـ « يا (مارى الدموية) .. أنا قتلت أطفالك ! »

* * *

كل بلدة فى العالم لها أشباحها الخاصة بها .. هناك أكثر من بناية مسكونة فى الإسكندرية ، وهناك قصص قوية عن قصر البارون فى مصر الجديدة . أنا زرت قصر البارون وأعترف أننى لم أر شيئًا غريبًا ، لكنه بالتأكيد يحــوى طاقة نفسية هائلة .. طاقة يمكنك أن تشعر بها ، وهى الطاقة التى رأى بعض العلماء أنها شحنات إستاتيكية ناجمة عن المياه الجوفية تحت المكان ..

فى إنجلتــرا أتيحــت لى فرصــة ممتــازة كى أزور أكثر الأماكن ازدحامًا بالأشباح فى العــالم . كان هذا هو بيت بورلى Borley Rectory .. وقد تم تشييده عام 1862 ..

كنت أقيم فى أحد فنادق لندن فى السبعينيات منهمكًا فى أشياء كثيرة ، عندما تلقيت خطابًا ممن يدعى (تريفور هول) ...

قال فى الخطاب :

ـ « عرفنا بوجودك فى لندن ، وإنه ليسرنا أن تنضم لنا فى البحث عـن سر بيت بورلى . لو كنت قـد سمعت الاسم فأنت تعرف أن هناك علامات استفهام عظيمة تدور حوله . أما من نحن ، فنحن نمثل جمعية البحوث الروحانية SPR . هناك من يعتبرون هذا المكان يعج بالأشباح ، وهناك من يعتبرون القصة كلها كذبة عظيمة . نحن بحاجة إلى شهود وإلى خبير مثلك يكون معنا فى هذا التحقيق . كل النتائج سوف تنشر فى المجلة التى نصدرها ثم ننقلها للصحافة . فى حالة موافقتك نرجو الرد على هذا الخطاب . وسوف تصل سيارة لتنقلك إلى البيت المذكور سوف نمضى يومًا واحدًا هناك وبعدها نقدم تقريرنا . سنكون معًا فلا مجال للكلام عن قضاء الليل وحيدًا مع شمعة وكل هذا الهراء .. »

قرأت الرسالة عدة مرات ، وكنت فى ذلك الوقت شابًا راغبًا فى تجربة كل شىء ... لذا كتبت موافقتى . لم تكن هناك شبكة

إنترنت لذا كان من الصعب جدًّا أن تعرف ما هى SPR هذه ولا نشاطها .

على كل حال كل ما لا يقتلنى يقوينى ، وأنا لا أعتقد أن تجربة كهذه ستكون قاتلة .. أنا أؤمن على كل حال أن هذه التجارب تثرى وجدانك .. سواء كانت كاذبة أم صحيحة فهى تنقل لك خبرات جمعية مهمة .

وفى المساء ، وبعد ما اعتذرت عن باقى مواعيد اليوم ، وقفت على باب الفندق فى ذلك الشارع الضيق الذى يشبه معظم شوارع لندن الكلاسية . معى حقيبة صغيرة فيها لوازمى لليلة واحدة .

وصلت السيارة .. وفى الظلام لم أتبين وجه من فيها جيدًا ، لكنى ميزت وجه رجل له ملامح وقور هادئة وقال :

ـ « د . إسماعيل كما لى أن أفترض ؟ »

الطريقة البريطانية الشهيرة ، كما حدث عندما قابل ستانلى ليفنجستون فى مجاهل أفريقيا فقال له العبارة الباردة ذاتها .. هززت رأسى أن نعم ....

قال وهو يفتح لى الباب :

ـ « أنا جيسون .. من الجمعية .. »

بعد ربع ساعة من القيادة توقفت السيارة جوار متنزه عام مظلم ، ولحق بنا فيها ثلاثة رجال مغمورين بالظلام .. عرفت أن الأول يدعى هارى برايس . وهو رجل أشيب يضع نظارة سميكة ويرمقنى فى شك . حيانى وأدركت أنه يزننى بعينيه . هل أصلح ؟.. أم أنا سأزيد الطين بلة ؟ الرجل الثانى يدعى إريك دنجوول .. قال إنه سكرتير الجمعية .

فيما بعد عرفت أن برايس باحث روحانى اهتم كثيرًا ببيت بورلى وقضى عدة ليال فيه ، ثم كتب عدة مقالات عن الظواهر الغامضة هناك . يرى كثيرون أن ما حكاه ملفق وأنه لم ير شيئًا غريبًا .. أما دنجوول فقد أجرى تحقيقًا مطولاً حول ما حكاه برايس !

على كل حال انطلقت السيارة ، وفى الطريق راح هارى برايس يحكى لى قصة ذلك المكان :

ـ « بيت بورلى هـو مركز الكثير من الحكايات المرعبة .. يقولون إنه أكثر الأماكن ازدحامًا بالأشباح فى العالم . يقال إنه

قد بنى فوق دير قديم اسمه (دير بندكت) بنى بدوره عام 1362 .. وأن هناك امرأة مدفونة فى الجدران .. »

ثم ناولنى لفافة تبغ ، ونفث سحابة كثيفة من الدخان خارج النافذة وقال :

ـ « تكررت قصص رؤية الأشباح فى هذا البيت .. هناك أصوات خطوات سمعها الكثيرون عام 1863 .. بعد هذا رأى كثيرون شبح امرأة على بعد من البيت كأنها تجول حوله . بعد هذا تكثر القصص المحيرة .. عربة يقودها سائق بلا رأس تدور حول البيت .. إلخ ... فى ذلك الوقت كان صاحب البيت يدعى (هنرى داوسون) .. »

لم أر شيئًا غريبًا فى هذا .. لقد قضيت حياتى وسط الأشباح ، فلم يعد شىء يثير دهشتى .. قد يكون هذا البيت مسكونًا فله احترامى ، وقد لا يكون مسكونًا فله حبى .. لكن لا يمكن أن يلفت نظرى سوى وجود شىء غير معتاد .. هل تعرف ما هو غير المعتاد ؟ الكثرة .. كثرة الأشباح التى يحكون عنها .. المكان المسكون المحترم يحوى شبحين أو ثلاثة ، لكنهم يتحدثون عن أتوبيس من أتوبيسات القاهرة ..

الحقيقة أننى لم أتحمل قط فكرة أن يوجد مكان مسكون لهذه الدرجة ولا أراه ... يومًا ما سأحكى للرفاق فى ليالى الشتاء :

ــ « أنا زرت بيت بورلى و .. إلخ .. إلخ ... »

وسوف يرمقوننى بإعجاب ...

ــ « مات هنرى مالك البيت .. »

واصل هارى برايس الكلام :

ــ « المالك الجديد للمنزل وجدت زوجته لفافة أوراق فى خزانة .. اللفافة فيها جمجمة فتاة شابة . بالإضافة لذلك هناك أصوات أجراس وخطوات .. دائمًا الخطوات .. دائمًا الأضواء ... هناك دقات من خلف المرايا .. كأن هناك روحًا حبيسة .. طبعاً لا داعى لذكر أن المالك الجديد قد رحل وجاء بعده مالك آخر .. وهذا المالك قد لاحظ تطاير أحجار من النوافذ ، وكتابة على الجدران .. الزوجة المالكة الجديدة حبست فى غرفة لفترة طويلة وراحت قوى خفية ترميها فى كل اتجاه فى الغرفة . هذه الحوادث نشرت كلها فى جريدة دايلى ميرور وسال لها لعاب كثيرين ... »

كان يتكلم ومن بعيد رأيت البيت العتيق جاثمًا فى الظلام ....

عرفته على الفور بالطريقة التى تعرف بها أنت شرير الفيلم عندما تراه فى فيلم تجهل لغته ...

قال برايس بلهجة درامية :

ــ « هذا هو بيت بورلى ... مرحبًا بك .. »

* * *

- 2 -

عندما اقتربنا وجدت أن الظلام قد خدعنى ..

كان بيتًا ريفيًّا جميلاً ، يذكرك بلص أمسكه رجال الشرطة فوجدته أنت وديعًا رقيقًا لا يتمشى مظهره مع هذه الاتهامات ...

فتح أحدهم الباب بمفتاح معه مما أثار دهشتى . قال وهو يفسح لى الطريق لأدخل :

ـ « استأجرنا البيت لمدة عام كامل ... هناك أكثر من ثمانين متطوعًا سوف يجرب المبيت هنا .. تجربتنا هذه ليست سوى واحد على عشرين من التجارب التى ننوى عملها .. »

لم تكن هناك كهرباء بالداخل .. هذا متوقع طبعًا بعد هذه الأعوام .. الأشباح لا تدفع الفواتير ... لابد من الشموع كما يحدث فى أى بيت مسكون يحترم نفسه . الكثير من السجاجيد المغبرة .. الكثير من العنكبوت .. كل الأبواب تحدث صريرًا مما يذكرك بالعبارة القديمة : كل قصص البيوت المسكونة يمكن أن تنتهى لو وجدت علبة زيت جيدة !

أشعل برايس شمعدانًا وأشعل إريك دنجوول شمعدانًا آخر ..

انتشرت دائرة الضوء وهزمت الظلال ... ضوء متراقص يثير الهلع فى النفوس . كم من مرة قرأت هذا الموقف ؟ فى قصة (الغرفة الحمراء) لهـ . ج . ويلز كاد البطل يجن بسبب الشموع .. لعبة الشموع المنطفئة القاسية جدًّا ...

هناك ألف قصة فى الأدب الغربى عن رجل يمضى ليلته وحيدًا فى بيت مسكون ... هذه قصص مخيفة لكن بشرط أن تقرأها وأنت وحيد ليلاً .. عندما تقرؤها فى ضوء الشمس تبدو سخيفة جدًّا . إنها كالشموع لا تأثير لها إلا فى الظلام ...

قام زميلنا الثالث بتوزيع بعض المقاعد ، ثم دعانا للجلوس .. ووضع الشمعدان فى منتصف المنضدة . قال لى برايس :

ـ « ننتظر هنا .. نحن فى مدخل البيت .. أى صوت أو حركة ستكون كافية .. »

دائمًا تأتى الأصوات من الطابق العلوى .. تسمع شيئًا يتحرك فتهرع هناك .. يتهشم الدرج الخشبى المتهالك تحت قدمك فتسقط .. إلخ ... هذه تقاليد قصص الأشباح ..

أخرج دنجوول رزمة من أوراق اللعب ، وقام بتفنيطها ببراعة المقامرين ، ثم قال :

ـ « على سبيل تزجية الوقت .. هل ترون أن نلعب البوكر ؟ »

رآنى أفكر بعمق فقال مرغبًا :

ـ « سوف نسهر حتى الصباح .. صدقنى لابد من طريقة لإضاعة الوقت .. »

قلت فى ارتباك :

ـ « لا أعرف كيف ألعب البوكر . هناك لعبة مصرية اسمها (الشايب) ولعبة اخرى اسمها (الكومى) .. لا أعرف سواهما ويمكن أن أعلمهما لكم .. »

لم تبد عليهم الحماسة .. هؤلاء القوم لا يحبون تعلم الجديد مع أننى أراهن على أن شخص سيقع فى غرام الكومى فورًا . هكذا تركتهم يلعبون وأنا أسمع مصطلحات اللعب الغريبة (كاريه آس) .. (كنت فلوش) ... إلخ .

كانت هناك حقيبة جلبها دنجوول .. فتحتها فوجدت بعض الشطائر وترموس به شاى .. هكذا انقضضت ألتهم شطيرة محاولاً أن أترك لهم ما يأكلون ..

كنا فى دائرة الضوء المتراقص .. من حولنا يشحب كل شىء ويسود ظلام دامس .. لو أن أسدًا جاء من على بعد خمسة أمتار فلن نراه ... هذا مقلق ..

لا أحب كذلك فكرة أننا جالسون فى المركز بالضبط ... لا يوجد جدار يحمى ظهورنا ... نحن فى وضع هش جدًا ....

فجأة انتفضت ...

هناك صوت خطوات بالفعل .. والخطوات فى ركن القاعة التى نحن فيها . ليست بعيدة ..

قلت لهم بطريقة درامية ولا تخلو من الهستيريا المطلوبة :

ـ « هل تسمعون ؟ صوت خطوات .. »

نهض برايس وأوقد كشافًا صغيرًا ثم مضى يبحث عن مصدر هذا الصوت ... بالفعل من المؤكد أن هناك خطوات ، لكن

المشكلة هى أنك لا ترى صاحبها أبدًا . كما ترى خطوات الرجل الخفى على تراب الأرض فى الأفلام .

ثم بدأت الدقات .. دقات منتظمة تدفعك إلى الارتباك .. دقات تأتى من لا مكان . كانت هناك أخوات أمريكيات ثلاث فى القرن الماضى يجرين جلسات تحضير أرواح ، وكانت الدقات هى لغة الكلام . طبعا تبين بعد هذا أنهن مصابات بالروماتزم المفصلى .. وكن يحدثن الدقات بأصابعهن المدفونة فى الحذاء . لكن هذا الصوت الغريب لا يوحى بطقطقة مفاصل .

أخـــرج برايس جهـــاز تسجيل وضغط على المفتاح .. ثم قال لى :

ـ « أنت شاهدى يا دكتور .. أليس كذلك ؟... فيما بعد سيقول قائل إن التسجيلات مزيفة . وقتها سأطلب شهادتك .. »

قلت باسمًا :

ـ « بالطبع سأشهد معك لأننى لا أكتم الشهادة أبدًا . سأشهد أننى سمعت دقات وخطوات ، لكنى لم أر أشباحًا .. ربما كان مصدر هذه الضوضاء شيئًا آخر .. »

الرجل الثالث الذى عرفت أن اسمه (مكدوجال) نهض حاملاً جهازًا غريبًا .. يشبه عصا الهوكى نوعًا . بالتأكيد هى من تلك الأجهزة التى تقيس النشاط الروحى .. تقيس الكهرباء الاستاتيكية أو تبحث عن رائحة الاكتوبلازم .. أى شىء ..

راح يجوب أركان القاعة وهو يهمهم .. ثم عاد لنا . ومن جديد عاد الرجال يلعبون الورق .

رفعت رأسى إلى الطابق العلوى .. هناك ترابزين سلم يمتد فى ردهة طويلة . الترابزين الذى تراه فى أفلام رعاة البقر والذى يسقط من فوقه الشرير برصاصة البطل . إن الظلام دامس هناك .. لا يوجد ما يبدده نوعًا سوى اللهب الخافت القادم من حيث جلسنا ..

يمكننى أن أرى من يتحرك هناك .. لو شئنا الدقة لقلنا إنها امرأة . امرأة بلا رأس طبعًا ... تمشى فى تؤدة كأنها تراقبنا من أعلى ..

قلت لبرايس فى كياسة :

ـ « أ .. مستر برايس .. هلا نظرت لأعلى ؟ »

رفع رأسه .. لم تعد المرأة هناك .. لقد اختفت . لا غرابة فى هذا فهى أشباح بريطانية من التى تملأ قصص هنرى جيمس . تراها بركن العين ولا تحتل مركز الكادر أبدًا ... وعندما تنظر لها مباشرة لا تراها ...

قلت فى ارتباك ما معناه إننى متأكد ، فبدا متفهمًا تمامًا ... هذه أشياء تحدث .. كلنا ذلك الرجل ..

نهض مكدوجال مـن جديد وهـو يحمـل العصا ، وقال إنه سيفحص الطابق الثانى ... وحمل فى يده الحرة كشافًا .. ثم اتجه إلى الدرج وراح يصعد بحذر . كلنا يعرف أن هذه السلالم تنهار تحت قدميك كأنها من بسكويت . توارى الضوء الذى يحمله بينما ظللنا نحن الثلاثة جالسين ....

بعد دقائق قال إريك دنجوول إنه يريد أن يتفقد الغرف الخلفية فى هذا البيت . بيت بورلى متسع وبه ألف غرفة كما هو واضح . هكذا نهض بدوره معتمدًا على كشاف صغير فى يده .. هل سمعت صوت ضحكة يأتى من أحد الأركان المظلمة ؟ لا أدرى فعلاً ...

مرت لحظات ثقيلة ..

فجأة ..

آه ه ه ه ه !

من الطابق العلوى .. مذعورة . كريهة .. طويلة .. أليمة ..

صرخ برايس فى رعب :

ـ « مكدوجال ! »

ونهض مسرعًا وهو يحمل شمعدانًا ... فصرخت فيه أن يأخذ الحذر . لو تعثر فلسوف يهشم ساقه أو على الأقل سوف يسقط الشمعدان ليحرق البيت كله ..

من الواضح ان هناك كارثة قد أصابت مكدوجال .. لا أحد يصرخ بهذه الطريقة لو كان قد رأى شبحًا ..

أما أنا فظللت حيث أنا .. من الخطأ أن ينهض اثنان معًا .. يجب أن تكون هناك نقطة ارتكاز بدلاً من أن نتشتت فى كل صوب .. يسهل الانفراد بأى واحد منا وقتها ، وأنا لم أنس بعد قصة البيت الذى كانت شيراز تنتظرنا فيه ..

مرت دقائق ... وأنا أرقب الظلام فى وهج الشمعدان الباقى ..

للنار أثر مدوخ يدفعك للنعاس فعلاً . أنت تغيب وسط اللهب كأنك ذبابة .. لكنى تماسكت برغم إرهاق اليوم . عندما رفعت عينى بدا لى كأن شيئًا لم أره من قبل يوجد فى الظلام . مع الوقت بدأت أدرك ... إن هذا شخص فارع القامة يقف فى ثبات فى دائرة الظل وينظر لى..

قلت فى ثبات نوعًا :

ــ « من أنت ؟ »

لم يرد .. فعدت أسأل :

ــ « ماذا تريد ؟ »

لم يرد ...

ــ « هل أنت مالك البيت السابق ؟ »

فجأة سمعت صرخة تدوى .. نظرت إلى صاحب الصرخة فرأيت دنجوول يحمل الكشاف ويشير لشىء من خلفى . استدرت لأرى ذلك الشىء الذى يهوى ببلطة على !..

لقد انشغلت فى تنظر إلى ذلك الرجل فى الظلال ، فلم أدرك أن هناك من ينوى قطع رأسى بالبلطة من الخلف ..

أجفلت ووثبت للخلف بينما هوى ذلك الشىء بالبلطة على المنضدة التى أجلس عليها . وصرخ دنجوول من جديد :

ــ « اهرب ولا تنظر للوراء ! »

واندفع يلتحم بذلك الشىء الذى هاجمنى بالبلطة ... رأيت حربًا عنيفة بين الاثنين ، والحقيقة أن شجاعتى تخلت عنى فعلاً ... لم أعد قادرًا على لعب دور الرجل الشهم .. قبل أن أفكر كانت ساقاى تركضان نحو الباب . ضوء يتراقص من خلفى .. نظرت فوجدت أن الضربة أسقطت الشمعدان وقد تمسكت النار بالأرضية ..

هرعت أفتح الباب وأركض ..

كانت هناك سيارة تمر عن بعد فجريت نحوها أستوقفها ، وكان السائق شابًا بريطانيًا طويل الشعر يشبه نجوم البيتلز . طلبت منه فى لهفة أن يقودنى إلى أقرب هاتف عمومى . ونظرت من نافذة السيارة إلى البيت المشتعل وهتفت :

ـ « البؤساء !.. سيموتون حالاً ! »

لم يعلق كأنه لم يفهم وانطلق بالسيارة ، وأخيرًا بعد خمس دقائق وجدت نفسى أمام كابينة هاتف حمراء من هواتف لندن . دخلت وطلبت رقم المطافئ المدون على الجدار . قلت لهم :

ـ « بيت بورلى يحترق .. ثلاثة أشخاص هناك ! »

ـ « ماذا ؟ »

ـ « بيت بورلى .. لا داعى للأسئلة السخيفة .. أنتم تعرفون المكان .. »

ثم وضعت السماعة وعدت إلى الفندق مرتبكًا مفكك الأوصال ..

* * *

فى الصباح كانت الإجابات جاهزة بانتظارى ..

كيف يحترق بيت بورلى يا سيدى وهو احترق فعلاً عام 1939 واختفى من على ظهر الأرض عام 1944 ؟

هؤلاء القوم يمزحون ..

لكن شيئًا كهذا لا يمكن أن يختلط على الناس .. عندما تأكدت من المعلومة ، وجدت أن مالك البيت الأخير كان يفتح بعض الصناديق ، وتسبب فى أن يسقط مصباح مشتعل ليحرق كل شىء .. كان هذا عام 1939 .. لم تبق من البيت سوى أطلال متهدمة ...

لهذا كان سائق السيارة لا يبدى أى فهم لما أقول ...

وماذا عن الرجال الذين كانوا معى ؟ بحثت فى الهاتف عن رقم جمعية البحوث الروحانية SPR .. فى النهاية ردت على سكرتيرة ملول تتكلم بلهجة الكوكنى ..

سألتها عن مستر هارى برايس وإريك دنجوول . هل لى أن أكلمهما ؟.. قالت فى ملل :

ـ « سيكون هذا صعبًا يا سيدى .. مستر برايس مات عام 1948 وكذلك مستر دنجوول ! »

! ....

بالفعل كان بيت بورلى يعج بالأشباح . لو أردت أن ألخص القصة لقلت إننى أمضيت الليل فى شبح بيت احترق بالفعل ، مع

أشباح رجال اكتسبوا صفة مادية مؤقتة ، لدرجة أنهم يدخنون ويفتحون الأبواب ويلعبون الورق .. هذا هو كل شىء ....

لم تكن خبرتى ببيت بورلى بالتفاهة التى توقعتها فى البداية ....

* * *

(٤)

علاج غامض

- 1 -

سمبر كريسيس ..

أوت دكريسيس

فيتا ديتستابيليس ..

نونك أوبدورات

إتونك كيورات

لودو منتيس آسييم ..

* * *

عند المساء جلست فى غرفتى بالمستشفى .. هناك (أنتريه) صغير فى ركن المكان بقرب الفراش ، وقد جلست إليه أحاول بذراع ترتجف أن أرفع كوبًا من عصير البرتقال إلى ثغرى .. ثم تذكرت أننى سأمر بشبه جراحة بعد قليل ، فعدلت عن الشرب ... المعدة الخالية أكثر أمنًا ...

قالت لى ماجى :

ـ « هل ستجرب هذا حقًا ؟ »

قلت وأنا أبتسم بشكل مفتعل :

ـ « لن أخسر شيئا ... »

ـ « قضيت حياتك كلها تسخر من هؤلاء المعالجين النصابين ... »

ـ « المشكلة هى أن الرجل برهن عن براعته ذات مرة .. لا يوجد ما يمنع أن ينجح مرة أخرى .. »

سألتنى وهى ترمقنى فى شفقة :

ـ « هل أنت خائف من الموت فعلاً ؟ »

قلت فى صدق :

ـ « نعم .. لست متأهبًا لمواجهة ما ينتظرنى هناك .. هل تذكرين مونولوج هاملت الشهير عن الخنجر المسلول الذى يمكن أن ينهى كل شىء . لكننا نخاف أن نحلم ؟ ثم أن هناك عاملاً أخطر وأكثر أهمية وهو الألم .. أخشى أن تكون نهايتى مصحوبة بكثير من الألم ... »

ــ « لن تتألم .. »

ــ « بل سأتألم .. قالها لى لوسيفر فى شغف وقال إنه سيتلذذ بكل لحظة أتعذب فيها . هذا الشىء يعرف ما يقول .. »

ولاحظت فى سخرية صامتة أنها لم تنف عنى الموت .. فقط نفت عنى الموت الأليم . لقد تقدمنا كثيرًا إذن ..

بعد نصف ساعة دق الباب ..

فتحتــه ماجى فدخــل المعــالج الرومانى ضــخم الرأس .. د. ميخائيل ميلفسكو يدخل وهو يحمل حقيبة صغيرة ، ومن خلفه فتاة شقراء نحيلة يبدو أنها غربية . كانت ترتدى بلوزة بيضاء جعلنى لسبب ما أشعر كأنها ممرضة ..

حيانا الرجل ثم قال وهو يشير لها :

ــ « مساعدتى إيلين ... سوف تقوم بتمريضك .. »

كان معى الحق إذن ... إيلين ممرضة ولكن ما دورها ؟

قال لى الدكتور الرومانى :

ــ « أريد أن ترقــد على الفــراش ... وسوف أحقنك بدواء منوم .. »

كنت أعرف أن الباب موصد ولن تدخل أى ممرضة . لن يرانا أحد .. بالتأكيد لن يقبل المستشفى أن يتم علاج مستقل عن علاجه .. وعلى يد طبيب لا يعرف أحد عنه شىء . ربما ليس طبيبًا أصلاً بل هو معالج روحانى أقرب للنصابين ..

قلت له وأنا أنام على الفراش :

ــ « سأقول لك حقيقة مهمة ... الآنسة ماكيلوب لن تفارق الغرفة .. سوف تراقبك مهما فعلت .. »

هز رأسه فى وقار ونظر لماجى وهز رأسه :

ــ « تشرفنا .. توقعت هذا بالطبع .. »

أضفت باسمًا وأنا أنزع الروب :

ــ « الكتاب فى مكان ما .. لن تأخذه إلا بإرادتى وإلا فلن تجده أبدًا . لا تحاول أن تقتلنى إذن ... لا تحاول أن تسرقه أثناء غيبوبتى كذلك ... »

قال بنفس الهدوء :

ـ « هذه شروط عادلة .. توقعت مثلها وأكثر .. والآن اسمح لى بأن أجرى الانتقال .. سوف تغيب عن العالم لكنك ستعود لتدرك أنك قد شفيت .. عندها أريد تنفيذ الجزء الخاص بى .. لن تلعب بى بدورك لأنى أستطيع أن أشفيك وأستطيع أن أعيد لك الداء ... »

كانت ماجى ترتجف هلعًا .. ابتسمت لها مهدئًا مطمئنًا ، ثم كشفت عن ساعدى .. جاءت الأخت إيلين وأخرجت محقنًا صغيرًا ودسته فى أوردتى الغليظة .. شعرت بشىء بارد ينساب هناك ..

لا جدوى ... لم أنم ...

قال الطبيب الرومانى :

ـ « سوف نزيد الجرعة .. أنت تتعاطى جرعات عالية من المورفين ، لهذا صار تخديرك صعبًا .. »

زادت الجرعة .. بالفعل رأيت وجه ماجى يترقرق كأنه على صفحة ماء .. ومن موضع ما ظهر أبى يلومنى على شىء ما ، ثم جاء عادل صديق شبابى يحمل لى قصيدة جميلة قرأها ... هل

هذه الأجسام الصلبة الخشنة تحت قدمى فى البحر هى سرطانات تلتهمها ؟ أبكى لكن زوجة خالى مصممة على أن أمشى فى البحر . السيجارة الأولى كانت لذيذة .. وكان سرطان الحنجرة شيئًا نقرأ عنه فى المجلات ... و ...

لقد تم الانتقال فعلاً ..

* * *

إيجستاتيم

بوتستايم ..

ديزولفيت أت جلاسيم ..

* * *

كنت هناك ..

أمشى بالبلطة التى وجدتها بين أشجار الغاب الكثيفة ، وأدرك بوضوح أن بعض هذه الأشجار حى يتنفس ... يتصاعد صوت الشهيق والزفير ، والبخار يتكاثف على زجاج عويناتى .. الغابة تتنهد .. الغابة تراقبنى .. الغابة تعرف ...

حقًّا لا أعرف أين أنا .. لكننى موجود فيه بقوة ..

غصن شجرة يتلوى محاولاً أن يمسسنى ، وأنا أعرف أنها شجرة تمتص الدماء . من علمنى هذا ؟ لا أعرف . فقط أهوى على الغصن بالبلطة فيصرخ كمن يذبح .. يتهشم ويسقط على العشب ينز دمًا ..

هذه النبتة .. كنا نسميها ذيل القط فى طفولتنا ، ويبدو أن هذا مصطلح دقيق جدًّا لأنها تتلوى فى غنج كأنها ذيول قطط حقيقية .

أعبر الممر بين الأشجار عالمًا أننى أقترب من نهاية الدغل ..

كانت تلك القلعة الشامخة .. قلعة عتيقة الطراز تهدمت جدرانها وتساقطت الحجارة منها . من الواضح أنها صارت مأوى للثعابين والبوم والوطاويط ... لابد أنها كانت شيئًا رائعًا يومًا ما .

أراه ... أرى ذلك الشىء الهلامى المخيف يلتف حولها .. يغلى .. يفور فى جشع .. كنا فى الوحدات الريفية نسكب ماء الأكسجين على الجروح المتقيحة ، فكان الصديد الممزوج بالدم يفور .. يتصاعد منه البخار ويخرج ليسيل أنهارًا على الأرض ..

هذا الشىء الهلامى ينتمى لعالم الجروح المتقيحة ..

أقف عن بعد أرمق هذا الشىء المقزز ، وأحاول أن اتجنب القطرات الثائرة التى تتطاير .. بشكل ما عرفت أنها قاتلة ..

كنت أعرف منذ البداية هذا الذى أراه ..

أدرك معنى هذه الممسات الملتفة .. وصوت الرغوة الذى يغلى فى جشع .. ووش ش ش ! ...

هذا هو السرطان ..

لا شك فى هذا ..

القلعة هى أنا .. لا شك فى ذلك أيضًا ...

على أن أقطع هذه الممسات .. على أن أحرر القلعة من هذا الوحش البشع ..

سوف أهوى بالبلطة على هذه الألسنة ، ولكن كيف أمزقها جميعًا ..؟ إنها تتكاثر كرءوس الهيدرا .. وأنا لست هرقل ...

هذا الشىء أقوى منى ..

السرطان .. لابد من أن أقضى عليه .. سوف يساعدنى ميلفسكو . سوف يمنحنى سلاحًا أقهره به .. سوف أنتزع هذه الممسات الجاثمة على القلعة ...

هناك ممس يلتف حول ساقى ويحاول أن يجذبنى .. خذ ساقى كما أخذت حنجرتى .. لا فارق عندى ...

سقطت على الأرض .. خيل لى أننى أرى يدًا .. يدًا آدمية مبتورة .. فى الواقع هى أقرب ليد تمثال .... لكن الأنسجة طرية تنبض بحياة زالت . هل هذه الممسات فتكت بشخص قبلى فى هذا العالم الموازى ؟ من أين يتصاعد الدخان ؟

أنا متورط .. لا أقدر على الفرار ....

* * *

« (معات) هنا .. المجد للقادمين من أيونو ! »

* * *

ماجى .. لا تخافى ..

أنا آسف .. أسبب لك إزعاجًا ورعبًا طيلة الحياة منذ التقينا أول مرة ...

عندما فتحت عينى كنت راقدًا على الفراش ، وكنت أرى العالم ضبابيًا بحق .. لكن عندما رفعت رأسى رأيت أنه ما من أحد يعنى بى . كنت أنت على الأريكة فاقدة الوعى غائبة كجثة ، وقد انهمك ميخائيل ميلفسكو والممرضة فى تبليل وجهك بالماء وصفعك .. إلخ ..

لم يعد أحد يبالى بى ..

نهضت فى صعوبة وقلت بصوت واهن :

ـ « هل هى بخير ؟ »

المشكلة لو أنها لم تكن بخير ، فلن أقدر على عمل شىء .. لا أستطيع أن أحرك ساقى . ضعيف جدًا كقط وليد ...

قال ميلفسكو وهو يواصل الصفع برفق على الخدين :

ـ « لا تخف .. هى فقط لم تتحمل أن تتابع العملية .. كانت أرق مما يجب .. »

فى النهاية سمعتها تتنحنح .. تفتح عينيها .. لكنها لم تغير وضعها الراقد على الأريكة ..

بدأ الضباب ينقشع عن ذهنى ، وبدأت عقدة فى لسانى تنحل .. السؤال الأول هو : ماذا فعلوا بها ؟ السؤال الثانى هو : ماذا فعلوا بى لدرجة أن تفقد وعيها ؟..

هناك ملاءة على صدرى ، والملاءة ملوثة بدم احمر قان .. لكن لا أشعر ألمًا ولا أحس جرحًا ... أنا بخير فعلاً .. يمكن أن أقول : إن هذا ليس دمى .

عـاد لى ميلفسـكو ونزع المـلاءة وكورها فى كيس من البلاستيك ، بينما راحت الممرضة تزيل بقعًا من دم وهمى على وجهى وعنقى . قلت له على طريقة الأطباء :

ـ « هل نجحت الجراحة ؟ »

ـ « بالطبع ... »

قالت ماجى وهى راقدة على الأريكة :

ـ « أنا رأيت الأمـر يا رفعـت .. لقـد استطاع أن ينتزع السرطان .. رأيت كتلة اللحم المفزعة فى يده وهو ينزعها من

رقبتك .. هذا الرجل ليس نصابًا . كان المشهد مروعًا .. فجأة دار رأسى ولا أعرف ما حدث بعدها .. »

هذا عجيب .. ثمة شاهد موثوق به هنا ، والأغرب أنها لم تتحمل المشهد .. غالبًا ما تكون المشاهد البشعة حقيقية ...

الأنسجة .. الممسات .. القلعة ..

ثمة رؤيا مخيفة تتراءى من موضع ما . لا أعرف متى ولا أين . هـل هـو كابوس قديم ؟... هل خبرة عشتها فى زمن سحيق وأنا آخر ؟

كنت أرى السرطان يتوغل فى قلعة .. وكنت أدرك أن القلعة هى أنا بالذات ...

لكننى أشعر براحة جسدية .. هذا أكيد ... هل زال السرطان فعلاً ؟

قال ميلفسكو عاقدًا ذراعيه على صدره :

ـ « الآن قـد بررت بالجـزء الخـاص بى .. انتظر الجزء الخاص بك .. أين الكتاب ؟ »

قلت مشتت الذهن :

ـ « وكيف أعرف أنك بررت بالجزء الخاص بك فعلاً ؟ »

ـ « أنت تشعر براحة وبأن الألم زال . لا تنكرن هذا .... »

الواقع أن هذا صحيح ... هل الإيحاء ؟

ـ « الكتاب من فضلك ... الكتاب الذى سبب لك كل معاناة حياتك وجعل لوسيفر يلاحقك عبر القرون .. »

هذا الرجل يعرف الكثير فعلاً ...

بالطبع لم يكن الكتاب ملتصقًا بجسدى .. الأحمق فقط هو الذى يخضع لجراحة بينما كتاب خطير كهذا ملتصق بجسده ... الأحمق هو من يخضع للتخدير بينما أهم كتاب فى عالم الشياطين والسحر معه ..

ماجى ؟.. بالطبع لا .. لم أكن لأقحمك يا ملاكى فى لعبة قذرة قاسية مثل هذه .. هذه ألعاب خطرة .. ألعاب لا يلعبها سوى الخاسرين مثلى . لن أعطيك الكتاب لتتحرك كل شياطين سقر خلفك ..

قلت له فى وهن :

ـ « الحمام .. الحمام الملحق بالغرفة .. »

ـ « أين ؟ »

ابتسمت فى خبث وقلت :

ـ « ابحث وسوف تجده ... »

نظر لى فى حقد ... لم يحب الدعابات فى هذا الوقت بالذات وليس لديه مزاج رائق ، لكنه نهض ونظر لى نظرة أخيرة قاسية ثم دلف إلى الحمام ..

قالت لى ماجى فى رعب :

ـ « هل ستعطيه إياه فعلاً ؟ »

ـ « بالطبع .. »

ـ « هكذا لن تصير لحياتك قيمة عند الراغبين فى الكتاب وهم كثر .. »

ـ « سأموت فى جميع الظروف .. سأموت بالسرطان لا محالة ، بينما ربما أجد فرصة للفرار من سادة جانب النجوم

لو شفيت من المرض الوبيل .. سوف أفر وأنا سليم الجسد .. سوف أقاتل وأنا بكامل قواى .. هناك أمل .. »

الصرخة !

أخ !

هذه صرخة شخص ينتزعون أحشاءه وهو حى .....

ماذا يحدث هناك فى الحمام ؟

* * *

(ى)

يوهانا فى حيرة

ـ 1 ـ

ترى هل تألموا ؟ إن لم يكونوا قد تألموا فلماذا صرخوا ؟

* * *

كيف كان لها أن تعرف ؟

عندما رأت يوهانا عينيه الصافيتين الزرقاوين وضحكته الرقيقة ، عرفت أنها وقعت فى الحب . إن (هيالمار) قد ظهر فى حياتها بشكل غير مسبوق ومذهل ..

يوهانا ممرضة سويدية رائعة الجمال تعيش فى إحدى ضواحى ستوكهولم . بلاد متقدمة ثرية جدًا لكنها باردة كالثلج .. باردة بشكل مجازى وشكل حرفى فعلاً . الجليد يحيط بالبيوت ويحيط بأعصابك وقلبك .. هنا لا يوجد شىء اسمه حب .. لا يوجد شىء اسمه دفء . يمكن للفتاة بسهولة أن تجد علاقة حيوانيةً عابرة ، وتشارك غريبًا مسكنه أو مسكنها لأيام ، لكنهما يعرفان أن كل شىء سينتهى سريعًا .. هكذا تتلخص كل عواطف الدنيا فى شهوة عابرة تزول سريعًا ..

هكذا كانت يوهانا .. وهكذا كانت حياة يوهانا ..

كان هذا أحد أيام يناير . لابد أنه يناير فعلاً .

ابتاعت العشاء لنفسها ، ثم عادت بالقطار إلى بيتها الجميل الصغير فى الضواحى ..

أولجت المفتاح فى باب الشقة بأصابع متجمدة ودخلت . وضعت الطعـام فى الميكروويف .. بدلت ثيابها .. هنـا بدأت تتوتر ..

هى أغلقـت نـور الصالة قبل مغادرة المنزل ، فلماذا هو مضاء ؟.. هل بلغ بها السهو هذا الحد ؟ أم أن هناك من أضاء النور فعلاً ؟

أمسكت بسكين المطبخ فى وضع التهديد ، وبدأت تزحف كالثعبان خارجة من مكمنها . هناك وقفت وظهرها للثلاجة وراحت تلهث .. التوتر يقتلها .. دقات قلبها مسموعة لكل من هو أصم ..

يوهانا الحسناء فى لحظات صعبة ..

كل هـــذا ليس حقيقيًا .. سوف تكتشف بعد قليل أن هـــذا وهم أو كابوس .

لكن هذا كله حقيقى .. إنها ملقاة على الأرض وقد قام أحدهم بلى ذراعها خلف ظهرها ، وهناك من يضع نصل سكين على عنقها .. وقد طار السكين الذى كان فى يدها ...

كان يهمس بما يشبه فحيح الأفعى :

ــ « هيا .. ستكونين فتاة عاقلة .. لن تصرخى ... »

قالت شيئًا على غرار (مممممم) .. لكن يدًا حازمة قبضت على شعرها وضربت رأسها فى الأرض .. هل (مممم) صرخة ؟

كانت تبكى من الذعر .. هذا لا يحدث لها حقًا ..

يمكنها أن تدرك أن هناك رجلين .. رجلين شرسين تفوح منهما رائحة التبغ والعرق . كان هناك بيت سهل الاقتحام وتصادف أن هذا بيتها هى ..

لا فرصة أمامها .. إنها كقطة صغيرة فى يديهما ...

قال الأول وهو يلهث انفعالاً :

ــ « إنجولف ... أبقها حيث هى .. أريد البحث عن طعام فى هذا المطبخ .. »

ــ « هيدفيج ... هل هذا وقت الأكل ؟ »

ــ « الطعام أولاً ... ما من جائع يقدر على عمل شىء .. »

كانت ترتجف وتبكى ... ومن الغريب أن الخاطر الذى يضايقها الآن هو حذاءاهما القذران فى مطبخها ، والتهام الطعام الذى أعدته لنفسها فى الميكروويف .. غريب ما يمارسه المخ البشرى من ألعاب . هى موشكة على الموت مع ما هو أسوأ غالبًا ، وبرغم هذا عقلها يفكر فى الطعام ...

لاحظت كذلك فى محنتها أن اسميهما غريبان غير معتادين . الأسماء السويدية غريبة كلها على مسامعنا لكن يجب أن تكون أذنك سويدية كى تميز الأسماء الأغـرب . بالنسبة للغربيين لا مشكلة فى أن يحمل مصرى اسم (حرفوش) لكنه غريب جدًا بالنسبة للمصرى ..

سمعت صوت ذلك الرجل يدخل المطبخ ، بينما كان المدعو إنجولف يمرر أنامله على شعرها .. يقول بصوت مبحوح :

ـ « شعرك جميل .. ناعم .. نظيف ... »

لو تحركت لمزق النصل عنقها ...

فجأة شعرت بأن النصل يبتعد عن عنقها ، ولم تفهم ما يحدث إلا عندما سمعت صوت التلفزيون يتهشم . رفعت رأسها فى ذعر لتجد أن من هاجمها قد طار ليسقط فوق المنضدة التى عليها التلفزيون ، وسقط أرضًا .. من الغريب أنه لم يبد قويًا كما ادعى .. لقد تهاوى أرضًا كرقاقة ابتلت بالحساء ..

من المطبخ اندفع رجـل فظ ضخم الجثـة .. استنتجت أنه هيدفيج .. كان يحمل عصا حديدية ويصيح فى وحشية ، وهوى بالعصا على .... على رجل قوى البنية وسيم يبدو كأبطال القصص المصورة ، لكن هذا الأخير تلقف العصا بقوة ثم مد ساقه ليتعثر هيدفيج ، وعلى الفور حمله من كتفيه كأنه كيس غسيل متسخ وطوح به فى الجدار .. طاخ !!

هذه المرة لم تعد هناك تساؤلات كثيرة .. من يرتطم رأسه بالجدار بهذه الطريقة مائت لا محالة .

أخيرًا استطاعت أن ترى منقذها ... هذا هو لقاؤها الأول مع (هيالمار) . الشاب الذى يبدو كأنه جاء من عالم الأساطير ...

هتفت من بين دموعها ورجفتها :

ـ « من أنت .. من أنتم ؟ »

قال فى رفق :

ـ « أنا أدعى (هيالمار) ... لا شك أنك تعرفين الآن معسكر الأخيار ومعسكر الأشرار .. تعرفين من فى صفك ومن ضدك .. لا تخشى شيئًا واعتبرى نفسك محظوظة ... »

ثم هرع إلى باب الشقة ففتحه .. اندفع الهواء البارد للداخل ..

قال لها :

ـ « اطلبى الشرطة ... لقد تسلل هذان وهاجماك .. كنت أنا مارًا وسمعت صراخك فاقتحمت المكان وفتكت بهما .. هذا ما حدث فعلاً ... »

لا لم يحدث هذا فعلاً .. أرادت أن تقول له ذلك . لم يكن الباب مفتوحًا . فكيف دخلت أنت وكيف دخل هذان ؟

كادت تسأله أكثر لكنه مد يده بالهاتف لها ، وقال فى إلحاح :

ــ « افعلى ذلك الآن .. أعتقد أن واحدًا منهما على الأقل قد مات .. »

كانت فى حالة من الضبابية وقد تفككت أفكارها فى كل صوب لا تقدر على جمع هذا كله . لكنها بطريقة ميكانيكية اتصلت بالشرطة ..

ما بعد هذا كان شبيهًا بهذيان طويل .. استجواب .. صور .. تحقيق .. وكان رأى رجال الشرطة أن هذين الوغدين وجدا بيتًا مفتوحًا فاقتحماه ... ووجدا امرأة وحيدة فهاجماها .

ــ « لولا هذا الفتى الشهم لانتهى أمرك .. »

تاك .. تاك (شكرًا) أيها الوسيم ..

لكنها كانت تدرك يقينًا أن منزلها كان مغلقًا وأنها لم تفتح أى باب أو نافذة .. كيف دخل الجميع ؟

كان هذا لقاءها الأول مع المحارب ذى الخوذة ..

ــ 2 ــ

الآن يذوب الثلج ويسرى الدفء فى العروق ..

الآن صار لكل شىء مذاق مختلف ، والحياة أجمل ، والأطفال أروع ، والغد واعد بكل شىء ..

لقد احتل هياليمار كل شىء فى حياتها .. الفارس القادم من أساطير الفايكنج القديمة .. بالفعل هياليمار معناها بالسويدية (الفارس ذو الخوذة) ..

ألا يبدو غريبًا أن مهاجمها كان اسمه إنجولف ومعناها (ذئب الآلهة) ؟.. لقد استطاع الفارس ذو الخوذة أن يذبح ذئب الآلهة كما هو واضح .. وبالطبع انتقل ليعيش فى دارها . نحن نتكلم عن السويد هنا طبعًا .. حيث ينظرون للأخلاقيات بشكل مختلف .

سألتنى يوهانا إذ جلسنا فى تلك الكافتيريا المطلة على الشارع :

ــ « أنت لا تصدق ما أقول ؟ »

قلت فى هدوء بعد ما أخذت رشفة من القهوة :

ــ « ليس قبل أن أراه ... »

ليس من السهل أن تصدق كل هذا الكلام الفارغ عن الأرض الغارقة .. أنا لم أصدق حرفًا ، لكن ما تفسير كل هذا الذى حكته لى وهى ترتجف ؟

أولاً هو لم يكن يأكل تقريبًا . هذا شىء مقبول ولربما كان شاعريًا كذلك .. من الجميل أن تلقى الفتاة رجلاً لا يملأ بطنه بالطعام ويتجشأ .. هذا رجل نادر يجب ألا تتركه الفتاة ..

ــ « طريقة ظهوره الدرامية .. ألا تجدها غريبة فعلاً ؟ »

غريبة بحق .. لكن من أدرانى أنه ليس لصًا اختلف مع رفيقيه ؟.. إذا تسلل رجلان للبيت فلماذا لا يتسلل رجل ثالث ؟.. لماذا لا تتسلل كتيبة من الجيش الصينى ؟

وعندما كان يطبخ الطعام معها فى مطبخها ، وسقطت السكين العملاقة من الرف عموديًا على قدمه .. لتخترقها وتمزق أنسجتها . هل تذكر ما فعل ؟

ــ « راح يمرر كفه على الجرح البليغ .. يمرر ويهمس بشىء ما .. وهنا فوجئت أن الجرح قد اختفى تمامًا . سألته عن هذا الذى حدث فقال إنها حيلة قديمة تعلمها . على قدر علمى لا توجد أى حيلة تغلق الجروح ! »

كل هذا جميل ..

ولكن ماذا عن لعب الورق معها حيث يبدو كأنه يرى كل أوراقها .. ؟ يقول : إن ذاكرته حديدية .

لم تذهب معه للبحر قط . لكن لو فعلت لذهلت من براعته فى السباحة . يسبح كالحيتان أو أفضل ..

طيلة الوقت يلمح إلى سر رهيب يخفيه عنها .. ما هو بالضبط ؟

معظم حياتها معه كانت تشعر أنه سوبرمان بشكل أو بآخر .. تذكرت كلارك كنت والصحفية المشاكسة لورا لين .. وكيف كانت تشك فى أنه وسوبرمان نفس الشخص .. كل شىء كان يشعرها أن لديه قوى غريبة ...

هذا ليس مجرد بشرى متميز .. هذا كائن آخر ...

* * *

فى فى فو فام !

* * *

ثم جاءت الطامة الكبرى عندما كان يأخذ حمامًا ..

تأخر كثيرًا بالداخل ، فظلت تنتظر ثم أنها نادته فى رفق .. لم يرد ..

رفعت صوتها أكثر فلم يرد ..

هكذا أزاحت الباب الزجاجى المنزلق ..

كان نائمًا أو ميتًا .. راقدًا فى مغطس الحمام ، ووجهه بالكامل وأنفه تحت مستوى الماء لا توجد فقاعات تتصاعد من منخريه ..

كاد قلبها يتوقف .. لقد مات .. سمعتْ كثيرًا عن الحوادث المماثلة ..

صرخت ومدت يدها تحيط بعنقه ، هنا انتفض .. نهض فاتحًا عينيه وجلس فى المغطس ....

وثبت للخلف مترًا بينما هو ينهض من المغطس فاتحًا كفه بما معناه (اسمعينى ــ أولاً ــ ليس ــ الأمر ــ كما ــ تظنين) .. الماء يسيل من جسده كأنه وحش بحرى أفاق فجأة ...

صرخت فى هستيريا :

ــ « أنت لست كائنًا بشريًّا ! ... من أنت ؟.. ما أنت ؟ »

ــ « أنا هياليمار الذى تحبينه ... »

ــ « بل أنت الشيطان ! »

وقف أمامها .. لف خصره بالمنشفة ثم أطرق للأرض بينما الماء يقطر منه ، وقال :

ــ « لست الشيطان . تأكدى من هذا .. وإن كنت أعترف أننى أتمنى لو كنت بذكائه وحيطته .. لقد تصرفت بحماقة .. »

ــ « إذن ؟ »

أخذ شهيقًا عميقًا ثم قال :

ــ « هل سمعت عن الأطلنطس ؟ »

* * *

واحسرتاه على حبيب .. قد سلانى للأبد

لما حرقتُ أنا البخور .. عليه لم يحزنْ أحد

* * *

فى ذلك الوقت كنت فى هلسنكى ، فى بعثة قصيرة من بعثات ما بعد الدكتوراه بوحدة أمراض الدم بكلية الطب Helsingfors universitet ،

وقد كسبت أصدقاء كثيرين هنا ، فهم قوم ظرفاء برغم انطباع البرود الذى تشعر به لأول مرة معهم . لكن سمعتى كطارد أشباح هاو تسربت إلى الناس هنا .. طلبوا منى ضاحكين تقديم محاضرة قصيرة عن خبراتى فى عالم ما وراء الطبيعة . لم تكن محاضرة بالضبط بل هى أقرب إلى دعابة طريفة ، وقد ألقيتها فى قاعة الاستماع بالمستشفى وأعتقد أنها كانت مسلية وتلقيت ألف (تاك) .. لكن دعنى أقل لك إنهم لم يصدقوا حرفًا ...

يوهانا كانت هناك وسط الجلوس ، وكانت تجيد الإنجليزية لذا سمعت كل حكاياتى عن الزومبى ومصاصى الدماء والفجوات بين عالمين و ... و ....

هكذا حزمت أمرها ..

بعد انتهاء المحاضرة اقتربت منى وقدمت لى نفسها .. وطلبت أن نجلس فى كافتيريا قريبة ..

لديها مشكلة ... لديها أسئلة .. لديها حيرة لا تنتهى ..

هياليمار .. من هو ؟ هكذا سردت على القصة التى سمعتها أنت .. قالت لى :

ــ « كان هــذا أحــد أيام يناير . لابد أنه يناير فعلاً .... بلا بلا بلا .. رجل قوى البنية وسيم يبدو كأبطال القصص المصورة ... إلخ إلخ .... وقال لى : هل سمعت عن الأطلنطس ؟ »

هناك فى المقهى كنت أحتسى القهوة وأنظر لعينيها الواسعتين وأفكر ..

بدت لى القصة عجيبة جدًّا .. عسير أن تصدقها ... إن موضوع الأطلنطس محبب لدى كتاب الخيال العلمى ، لكنك لا تلقى كل يوم من يزعم أنه جاء من أطلنطس ..

الاحتمالات :

1 ــ الفتاة حمقاء .

2 ــ الفتاة كذوب .

3 ــ الرجل كذوب وهذه دعابة قاسية .

4 ــ كل هذا حقيقى وأنا لا أفقه شيئًا .

لو كانت الأطلنطس خدعة كبرى فإن ذنبنا يقع على رأس (أفلاطون) الذى وصف تلك القارة عام 350 قبل الميلاد ، قال إن يونانيًّا عظيمًا اسمه (سولون) زار مصر ، وعرف من الكهنة هناك قصة هــذه القارة .. لقد وصف لنا كم كانت الأطلنطس ثرية متقدمة قوية عسكريًا ، وكيف سيطرت يومًا على أوروبا كلها . وقال : إن الشعب الوحيد الذى هزمها كان اليونان .. ثم بعد الهزيمة ــ ولأن المصائب لا تأتى فرادى ــ حدث زلزال أو شىء ما وغاصت أطلنطس فى المحيط .. وقد استشهد الرجل بكلام الكهنة المصريين الذين عاشوا قبله بمائتى عام . الحق أن (أفلاطون) وصف أطلنطس بالتفصيل الممل .. قال : إنها مليئة بقنوات الماء وفيها نظام رى متكامل يسمح لأهلها بجنى محصولين فى العام .. هناك نقطة ضعف فى هذه القصة .. لأن الفراعنة كانوا ثرثارين يحكون عن كل شىء . فلماذا لم نجد سيرة أطلطنس فيما بقى من نقوشهم وآثارهم ؟

هناك من قالوا : إنه لم يحدث زلزال ولكنه استخدام قوتها بشكل خطأ .. وهناك من قالوا : إن السبب هو التحلل الأخلاقى .. بهذ يكون ما حل بها شبيهًا بما حل بـــ (سدوم) و(عمورية) لا أعرف كيف يؤدى التحلل الأخلاقى لفناء قارة لكن هذا ما قالوه

على كل حال يقول (مارسللوس) إن الناجين من أطلنطس فروا إلى غرب أوروبا ..

نسى العالم الأسطورة حتى العام 1882 حينما ظهر كتاب (أطلنطس .. العالم الموغل فى القدم) ، كتبه أمريكى عضو سابق فى الكونجرس اسمه (إجناتيوس دونلى) .. وقد ملأ الكتاب بالهراء على غرار أن أطلنطس كانت مكان جنة عدن ! .. وإن أهلها أول من ابتكر الحروف الأبجدية . بل زعم أن ملوك أطلنطس هم الذين اتخذتهم الشعوب القديمة آلهة . وما زال بعض الناس يعتقدون أن الإنسانية بلغت الكمال فى ذلك العهد ثم انحدرت إلى ما نحن فيه .

نصابة أخرى اسمها (هيلينا بلافاتسكى) أعلنت أن أهل أطلنطس جاءوا من قارة أخرى هى (ليموريا) .. وزعمت أنها عرفت هذه المعلومات من كتاب مخفى فى التبت اسمه (كتاب دزيان) .

مؤخرًا أعلن خبير روحانى اسمه (إدجار كليس) أنه دخل السجلات الأكاشية وزار أطلنطس .. وقال : إنها انهارت بسبب انفجار ذرى ، وحدد موقعها قرب جزر البهاما .

أغلب الظن أن أطلنطس كانت فى المحيط الأطلنطى فعلاً . قال أفلاطون : إنها كانت موجودة فى المحيط الأطلنطى غربى أعمدة هرقل .. بلغتنا الحالية نقـول إنه كان يتكلم عن مضيق جبـل طارق .. أنت تعـرف أن الإغريق كانوا يعتقدون أن قبضة هرقل صنعت ثقوباً فى الجبال فى هذه النقطة بالذات ..

على الجانب الآخر ، هناك من يلاحظون كيف أن الهنود الحمر يشبهون الهنود فى آسيا .. من ثم يعتقدون أنها هجرة تمت عبر البر .. وأن أطلنطس كانت هى الجسر الذى تم بوساطته هذا العبور .. وهذا يعنى أنها كانت فى المحيط الهادى !

آخرون يعتقدون أن (أعمدة هرقل) التى وصفها (أفلاطون) لم تكن إلا مضيق البوسفور أو مضيق سردينيا .. هذا يجعل مكان أطلنطس فى تركيا أو سردينيا .. هناك رجل متحمس تملأ آراؤه الإنترنت متأكد من أن أطلنطس كانت فى (بوليفيا) !

باختصار :

هل هى موجودة فعلاً ؟

إن كانت موجودة فأين هى ؟

لماذا فنت ؟

– 3 –

فى فى فو فام !

* * *

قلت للحسناء يوهانا :

ــ « حتى لو وجدت أطلنطس فعلاً ، فمن قال إن أهلها بيننا أو أحياء ؟ قيل إن سكان القارة فروا إلى غرب أوروبا ، لكن لا يمكن البرهنة على هذا ... »

قالت وقد اتسعت عيناها الساحرتان :

ــ « أنت لا تصدق إذن ؟ »

ــ « لو صدقت الفتاة كل رجل يقول لها إنه من أطلنطس ، فلن يبقى عندها وقت كافٍ لأى شىء آخر ! ... »

ــ « وتلك الظواهر الغريبة ؟.. أنا لست حمقاء ... »

ــ « هناك أشخاص يمتازون عن سواهم .. رأيت من يأكل نصف ثور ، أو يجر شاحنة بأسنانه أو يأكل الزجاج ... لا شك أن حبيبك هذا مختلف لكن من قال إنه من أطلنطس ؟ »

ظلت تنظر لى فى عناد ، فقلت لها :

ـ « اسمعى .. لابد أن أقابله ... »

ـ « وهل تعتقد أنه سيتكلم معك بهذه البساطة ؟.. المفترض أصلاً أننى لم أقل لك حرفًا ... »

هــذا صحيح .. لن أقابله لأسأله : مساء الخير يا سيد ؟.. فتاتك قالت إنك من أطلنطس فهل هذا صحيح ؟ وأتوقع أن يضــحك ويقــول : فعلاً . جميل أن أعرف أنك عرفت قصتى .. إلخ ..

لكنى قدرت أنه من أصعب الأمور فى العالم أن تحكم على رجل إن كان جاء من أطلنطس أم لا من دون أن تقابله ..

* * *

كان دامع العينين وهو يجلس جوار المدفأة يتأمل اللهب .. ابتلع ريقه وضغط أكثر على كوب الشراب الدافئ بين أنامله وقال :

ـ « هناك أشياء لا يمكن أن تلمى بها أو تفهميها .. لن أحدثك عن حضارة أطلنطس ولا تقدمها ، تلك اللمحة التى وصلتكم بشكل ما عبر كتابات الأقدمين .. هذا شىء يصعب فهمه .

لاحظى أننا نتكلم عن تسعة قرون قبل الميلاد تقريبا . لكن التقدم العلمى كان يحمل معــه عيــوبه الكامنة .. لقد استطاع ذلك المجتمع أن يدمر نفسه . بدأت الزلازل والصدوع وأدركنا أن القارة ستزول عما قريب . هنا خطر لعلماء القارة أن يستخدموا علمهم المتقدم فى فتح عالم موازٍ لهذا العالم .. عالم فر له الجميع ، قال بعض المؤرخين إن قوم أطلنطس نزحوا إلى غرب أوروبا ، والحقيقة هى أن مدخلنا الرئيس يقع فى شمال أوروبا حيث ما تدعونه (أسكندنافيا) ، ولهذا نتكلم لغتكم .. بل إن أسماءنا قريبة منكم جدًّا . وهكذا عندما فنت أطلنطس للأبد وغابت تحت أعماق المحيط ، كنا نحن قد صرنا فى أطلنطس أخرى فى عالم لا ترونه أنتم .. يشبه الأمر الزجاج المطلى من جهة واحدة . أنتم ترونه سطح مرآة أما نحن فنراه زجاجًا شفافًا .. هكذا نتابع حياتكم بالكامل وأنتم لا تشعرون بنا ونجيد لغتكم .. عدة أجيال عاشت وترعرعت وماتت بهذا الشكل .. لقد فنت أطلنطس لكن أهل أطلنطس لم يفنوا .... »

نظرت له عاجزة عن معرفة ما تصدقه وما تنكره .. الأسهل أن تنكر كل شىء ... وهل يتوقع منها أن تهز رأسًا موافقة ؟

قالت له فى حذر :

ــ « أمثالك ممن يقولون هذا نائمون الآن فى المصحات العقلية حول العالم .. »

هز رأسه وابتسم كمن اعتاد هذه الشكوك ..

بعد قليل أردف :

ــ « اللصان اللذان اقتحما شقتك هاربان من أطلنطس .. وجدا فجوة جاهزة سهلة فاجتازاها ، وتصادف أن كانت الفجوة فى شقتك . وكان علىَّ أن أعبر خلفهما وأظفر بهما قبل أن يفتكا بك ... إن لنا قدرات جسدية هائلة اكتسبناها مع الوقت .. أنت رأيت بعضها .. كما رأيت أن الشقة كانت مغلقة بإحكام ، فكيف دخلنا إن لم يكن عن طريق الفجوة ؟ ، والفجوة تخرج من لجين مرآة على فكرة .. »

فى خبث تساءلت :

ــ « لم تقاتلوا سوى بالمدى والعصى . يصعب علىَّ أن أتخيل أمة بلغت التقدم الذى تصفه وتحارب بهذه البساطة . توقعت شيئًا كمسدسات الليزر أو بنادق أشعة كونية .. »

ــ « لا يمكن عبور الفجوة بأسلحة متقدمة .. »

نظرت له فى عينه وقالت :

ــ « ولماذا لم تعبر الفجوة عائدًا ؟ »

رفع خصلات شعره المبتلة عن عينه وقال :

ــ « لأنها انغلقت من خلفى ولا أستطيع فتحها لأعود .. أليس هذا واضحًا ؟.. أما السبب الثانى فهو أننى وقعت فى الحب ... »

* * *

« هكذا ينتهى العالم .. ليس بالانفجارات بل بالأنين .. »

ت . س . إليوت

* * *

حكى لها الكثير عن أطلنطس الجديدة .. صار بوسعها أن ترى كل دقائق ذلك العالم . ترى الميادين الواسعة التى تتوسطها تماثيل عملاقة .. ترى الجسور العلوية المحيطة بالتماثيل ، وترى النار العملاقة المشتعلة ليل نهار فى ساحة المدينة الرئيسة . ترى قنوات الماء فى الشوارع ، وترى موكب زوارق الكهنة التى تعبر النهر عند الغروب . ينثرون على الناس أزهار الزيثرا التى تشبه الفراشة ..

إن أطلنطس قارة تقارب الصين من ناحية المساحة ، وبالتالى ليست كبيرة جدًّا كقارة .. هذا العالم الخلاب يوجد معنا فى نفس المكان والزمان ، لكن له بعدًا آخر .. يصعب تخيل هذا ، لكن تذكر أن إذاعة لندن وإذاعة صوت العرب موجودتان فى نفس الحيز الأثيرى .. فقط لكل منهما تردد مختلف ..

حكى لها عن الأهازيج الليلية وعن موكب الحاكم ، وعن سباق العشاق بين أشجار المانادو ... كل من يمسك بفتاة هى له زوجة ، بشرط ان تقدم له زهرة زيثرا ...

حكى لها عن الأمراض التى قهروها والتقدم الذى بلغوه ..

ولكن الحنين ما زال يراود هؤلاء القوم لقارتهم التى ضاعت ، وما زالوا يهبطون إلى قاع المحيط ليشاهدوا الأطلال الحبيبة ..

ـ « هناك أناس فى هذا العالم جاءوا من أطلنطس الجديدة .. لا يمكنك أن تعرفيهم لأنهم اندمجوا فيمن حولهم ، لكن لو دققت النظر لوجدت أنهم أقوى ممن عداهم .. أذكى ممن عداهم .. أجمل ممن عداهم .. عندها سوف ينتابك الشك .. »

قال لها وهو يتأمل وجهها الصبوح :

ـ « أحيانًا أحسبكِ جئتِ من هناك ونسيتِ ذلك .. لقد فقدتِ الذاكرة .. لكنك تنتمين لعالمى .. »

وكانت الدعوة .. سوف يجد الفجوة من جديد وسوف يفتحها ويعبر . وقتها يريد منها أن ترحل معه .. سوف يتم هذا قريبًا جدًّا .. يجب أن تتخذ قرارها بسرعة ..

فى يوم بارد غائم دعتنى إلى شقتها ..

لم يكن هياليمار هناك لأنه كان يتسوق . قالت لى إنه عائد بعد ساعة ...

اتفقنا على أنى صديق مصرى ، ولا أعرف شيئًا عن الموضوع .. سوف أسأله بعض الأسئلة وأحاول أن أتصور الحقيقة .. للأسف هو لا يتكلم الإنجليزية وأنا لا أتكلم السويدية ، لكنها ستحاول أن تنقل كلامنا لبعض ..

هو بيت جميل صغير فى الضواحى ، يحوى الكثير من الجمال لكنه كذلك يحوى الكثير من الوحشة والرهبة . لا أحب كثيرًا أن أمضى ليلتى فى مكان كهذا ..

قالت لى وهى تنزع معطفها :

ــ « سأعد لك شرابًا .. يمكنك أن تجلس وتستريح .. »

ــ « أريد بعض الشاى .. الكثير من الشاى .. »

ورحت أفرك أناملى المتجمدة .. ثم سألتها عن مكان الحمام فأشارت إلى ركن من الشقة ..

دخلت وأغلقت الباب الزجاجى المصنفر على نفسى ، ورحت أتأمل المغطس .. هنا كان نائمًا ثم سقط رأسه تحت الماء فلم يمت . هناك صيدلية صغيرة ذات مرآة .. الطراز الذى تغلقه لتجد مسخًا يقــف خلفك فى أفــلام الرعب المعتادة . فتحت الصيدلية ورحت أعبث .. هنا حشد ممتاز من العقاقير النفسية .. مزيلات اكتئاب . كلوربرومازين .. مشتقات البنزوديازين ..

هذه صيدلية جديرة بمصحة نفسية .. الفتاة مخبولة حتمًا ... إنها تتلقى علاجًا عنيفًا ..

أغلقت الصيدلية حائرًا .. عندما خرجت من الحمام تلصصت قليلاً على المنزل .. هناك نافذة صغيرة تطل على حديقة خلفية يغطيها الثلج . هناك باب غير مغلق يؤدى إلى قبو ... هناك باب خلفى يمكن فتحه بسهولة .... من قال إن هذا البيت محصن ؟ أى شخص يمكنه الدخول فى رأيى ..

عدت لغرفة الجلوس الدافئة لشرب الشاى الساخن ، وتظاهرت بأننى لم أفتش مسكن الفتاة جيدًا ..

أسئلة عديدة فى ذهنى .. الفتاة تعانى أمراضًا نفسية . هذا واضح .. صحيح أنها متماسكة ويمكن أن تخدعك ، لكن من يتعاطى هذه الأدوية سواها ؟ لاحظ أنها ممرضة وقادرة على الحصول على هذه العقاقير ..

من الممكن كذلك أن يكون الفتى هو من يتعاطى هذه الأدوية . ما دام يقيم فى الدار معها ...

الاحتمال الأول : الفتاة مخبولة والرجل لا وجود له ، أو هو موجود لكنها لفقت قصة أطلنطس هذه .. ربما لأنها منبهرة به ..

الاحتمال الثانى : الرجل كاذب أو مخبول .. لاحظ أن التسلل للبيت ممكن .. أنا نفسى أستطيع التسلل فى أى وقت للداخل برغم افتقارى للياقة . إذن هى تهذى بصدد كون البيت محصنًا وهؤلاء نبتوا من الداخل . ربما هو أنقذها من اللصين فعلاً أو كانت كل هذه لعبة مدبرة ..

إن رأسى يوشك على الانفجار ..

لكن الاحتمال الأول قد ألغى أو ألغى نصفه .. الفتى جاء بالفعل فى هذه اللحظة عائدًا من جولته .. دخل البيت ليجدنى .. إذن هو موجود . مبللاً والثلج يغطى كتفى سترته وقلنسوته وكيس المشتروات فى يده ، ينزع قفازيه لاهثًا وهو ينظر لى فى دهشة . وسيم فعلاً قوى البنية ، لكنه وسيم على الطريقة السويدية .. أى أنه أشقر شاحب بارد كالثلج كتماثيل المتاجر .

ـ « جود نات . فم ايى دييو ؟ »

ـ « جود نات .. »

هنا كانت الفتاة قد ظهرت فاحتضنته ودفنت رأسها فى صدره وتبادلا بعض الكلام باللغة السويدية . بدا لى منظرهما أسطوريًا كأنهما محارب فايكنج وحبيبته على ظهر سفينة . برغم هذا لم أعد أتحمل أكثر .. لا أطيق من يفترض فى الغباء ..

قلت لها :

ـ « أرجو أن تنقلى له كلماتى .. أنا لا أصدق حرفًا مما حكاه لك . المنزل ملىء بالمنافذ التى يمكن اختراقها ... هذا الفتى يعبث بك أو أنت تكذبين بصدد خرافة أطلنطس ... »

نظرت لى فى حيرة ولم تترجم .. لكن الفتى التقط كلمة مريبة فى كلامى .. فعاد يردد :

ـ « أطلنطس ؟ أطلنطس ؟ »

ثم نظر لها ودارت محادثة غاضبة . أمسك بكتفيها وراح يهزهما بقوة .. المعنى واضح كما أعتقد : من هذا الحيوان الأصلع وكيف حكيت له ما دار بيننا ؟.. ثم عاد ينظر لى فى مقت ..

قالت الفتاة باكية :

ـ « يقول إن الرجلين قاتلان من أطلنطس .... »

هناك ثغرات عندى .. مثلاً كيف يداوى جرح قدمه الذى أحدثته السكين ؟... لو كانت قصة الفتاة صحيحة ، فهو خبير فى خداع البصر أو أنا لا أملك أى تفسير .. قلت من جديد :

ـ « وأدوية الاكتئاب والشيزوفرنيا فى الصيدلية .. الكلوربرومازين والديازبين ... هل هى لك أم له ؟

ـ « هى له .. إنه مضطرب نفسيًا منذ جاء لعالمنا .. »

من جديد التقط اللفظتين الغريبتين فنظر لى ولها واتسعت عيناه .. واضح أنها أخبرتنى بكل شىء ... لقد صار وجهه نموذجًا للمقت والصدمة والاشمئزاز ...

راح يردد وهو يتراجع للخلف :

ــ « أنترين إيى كلار .. أنترين إيى كلار ... »

لم أفهم .. فى اللحظة التالية اندفع إلى الحمام بسرعة البرق ، وأغلق الباب خلفه . قالت لى الفتاة :

ــ « قال إن المدخل صار مفتوحًا .. أى مدخل ؟؟؟ .. »

هنا سمعنا صوتًا (فلام !) يشبه صوت انفجار فرن البوتاجاز المعبق بالغاز عندما تقرب منــه عــود ثقــاب .. ثم صوت (ووووش !) عاليًا جدًا ..

هرعنا إلى الحمام .. سبقتنى هى وفتحت الباب .. ثم إنها استدارت لى فى كره وانهالت على صدرى ضربًا بقبضتيها . وهى تردد فى توحش ووسط الكثير من البصق والسباب :

ــ « أنا أكرهك ! ... ليتنى لم أرَ وجهك قط ! »

أزحتها بصعوبة ودخلت الحمام .. لم يكن هناك شىء ولا أحد ، سوى أن المرآة كانت محطمة .. لم يكن خلفها جدار صامت بل بدا كأنها تقود لنفق أو شىء مماثل .. أنترين إيى كلار .. لقد انفتح المدخل .. فهل قرر أنها لا تستحق أن ترحل معه ؟

فى الحوض وجدت شيئًا .. زهرة عجيبة تشبه الفراشة ..

لقــد تركها لهــا كذكرى أخيــرة .. ترى ما كان اسم هذه الزهرة ؟.. بصراحة قد نسيت ...

* * *

ـ 1 ـ

لوس دوس سولادوس إخبسيوس استين إن لاس روناس ..

* * *

عندما هرعنا إلى الحمام فى المستشفى ، مادت الأرض تحت قدمى الواهنة أصلاً ... هاتان قدمان لم تعودا صالحتين للركض للحمامات ..

لقد كان الدم يلوث كل شىء .. يتناثر على الجدران .. يملأ المغطس ... وعلى الأرض تكوم جسد المعالج الرومانى ذى الوجه الضخم ..

لا أعتقد أن هناك نمرًا فى الحمام ، لكن هذا أقرب تفسير لما حدث ..

لقد تم تمزيقه فعلاً وبقسوة شديدة ..

تذكرت موقفًا مشابهًا منذ أعوام فى طائرة تتجه للهلاك ، مدفوعة بسحر أغنية الموت ...

(ل)

لقــاء

لكن الرومانى كان حيًّا ... صرخت الممرضة وصرخت ماجى ، بينما جثوت أنا جواره أحاول فهم ما حدث ..

كان يشير إلى اتجاه ما ... نحو حوض الغسيل ..

لو أردت الدقة لقلت إنه يشير إلى مرآة الحمام ...

قلت له وأنا أبحث عن مكان يصلح لأضغط عليه لوقف النزف :

ـ « ماذا حدث لك يا أحمق ؟ »

قال بصوت مبحوح بسبب حنجرة تمزقت :

ـ « الفتى .. المراهق .. الفتى فى الـ .... المرآة .. »

هذه عادة المحتضرين .. الغموض ... يلمّحون ولا يصرّحون . ربما لأنهم مشغولون برؤى صاخبة لا تسمح لهم بالكلام بالتفصيل . هنا كان الصراخ قد جلب الممرضات ، وصرخن بدورهن ، ثم جاء عمال ورجال أمن ليصرخوا .. الكل يصرخ .. لسبب ما يصرخ الناس عندما يرون جثة ممزقة إلى أشلاء ..

برزت محفة من مكان ما ، لكنى كنت أنظر لعين الرومانى .. العين الثابتة الشاخصة وحركة الصدر الميكانيكية التى تشى بأن مركز اللهاث صار هو المسيطر على التنفس ..

إنه يموت أو مات ... هذه لحظة اللاعودة ...

كنت أرتجف انفعالاً ..

وجذبتنى ماجى جذبًا إلى الفراش ، ورفعت قدمى وشدت منهما الخف ... فأرحت رأسى للخلف وأنا أحاول أن أعيد لقلبى ضرباته السليمة ..

لو لم أهدأ فلسوف ألحق بالرجل . لن يشعر بالوحدة فى رحلته ...

سوف أعفيك من التفاصيل المملة بصدد قدوم الشرطة والتحقيق .. الملاءة المغطاة بالدم على المحفة والكل يتجنب النظر . ومحاولة الفهم ... لا أحد يعرف ما حدث فعلاً ، ولا يمكن توجيه التهمة لنا لأننا قد مزقنا الرجل بأنيابنا .

بالفعل كانت هذه الجراح ناجمة عن أسنان .. أسنان مَن ؟

مرت اللحظات ثقيلة ... وفى النهاية جاءت مشرفة التمريض تخبرنا أنها ستنقلنى من الغرفة . الغرفة التى تمزق فيها معالج رومانى ليست أفضل حجرة لمريض سرطان .. أنت تدرك هذا .. هذه أمور تتعلق باللياقة والفهم المشترك ..

طلبت من ماجى أن تنتظر ..

نهضت مترنحًا إلى الحمام الذى تحول منذ ساعة إلى غرفة فى قسم الأزبكية .. فوضى وأعقاب سجائر ومسحوق بصمات ودخان تبغ فى الجو ...

سألتنى عما أريد فقلت لها فى دهشة :

ــ « منذ متى تم تحريم التبول ؟ »

كانت الدماء تلطخ كل شىء .. ليس المشهد محببًا .. آثار مذبحة . يمكن أن أتذكر صوت الرجل ونظرته العميقة الفاحصة كما كانت منذ ساعتين ..

هناك صيدلية صغيرة جوار المرآة ... فتحتها فى حذر ، ومددت يدى إلى القاع حيث الرف السفلى ، تحت مجموعة من المطهرات ، وأخرجت لفافة الكتاب ..

لقد حان الوقت كى تعود للالتصاق بجسدى ..

لقد كنت صادقًا عندما أردت أن أمنحه له ، لكن شيئًا حدث .. شيئًا مروعًا لا يمكن فهمه ..

هناك شىء خرج من المرآة وانقض عليه . هذا على الأقل ما يمكن استنتاجه من كلمات الاحتضار الأخيرة ... ما هو هذا الشىء ؟

صبى مراهق ؟

من هو ؟

هل هو من جانب النجوم ؟... هل هو شيطان ؟.. الشىء الذى يخرج من المرآة لا يمكن أن يكون شيئًا آخر ...

غادرت الحمام وأنا أتحسس الكتاب الذى أعدت تثبيته إلى جسدى .. قالت لى ماجى :

ــ « هل ترى أن ننتقل الآن ؟ »

ــ « بالتأكيد ... »

همست وهى تتأبط ذراعى :

ــ « للأبد ؟ »

ــ « ماذا ؟ »

ــ « هل ستكون لى للأبد ؟ »

كدت أقول لها (حتى تحترق النجوم) ثم وجدتها كذبة لا داعى لها .. سوف أكون لها إلى أن أموت .. بالمناسبة .. ألم أشف ؟... أم أن وفاة الرومانى أدت لعودة السرطان ؟

* * *

صبوا لنا بعض الدم المختمر ، ولتسمعونا صرخات المعذبين فى أقبية (هيدز)... ولترقص الجثث المتحللة فى انتشاء .. إن لوسيفر والحق يقال راضٍ ...

* * *

– « أوه .. إنه الصداع .. الصداع اللعين .. بحق (أبراكساس) .. خطر لى أن المرء سعيد الطالع إذ يكون فى الغرفة المجاورة له بروفسور فى الطب » ..

* * *

انتهى د . منصور أستاذ جراحات الأنف والأذن والحنجرة من فحصى . تفقد الأشعات والفحوص .. له وجه مذعور يشعرك بأنك ضائع لا محالة ، لكنى أعرف أنه بارع حقًّا ... سأضيع لكن بشكل علمى راقٍ متحضر ..

قال لى وهو يهز رأسه :

– « الورم موجود يا دكتور رفعت .. وكذلك الثانويات .. لماذا اعتقدت أنك تتحسن ؟ »

لم أكن قد أخبرته قط بموضوع المعالج الرومانى .. أعنى أنه يعرف قصة ضيف رومانى مات بطريقة غامضة فى حمام غرفتى ، لكنه لا يعرف تفاصيل أخرى .. لذا أظهرت الدهشة وقلت :

– « لكنى أشعر أننى أفضل .. »

– « للحالة النفسية دور فى ذلك .. هناك أيام سوف تشعر بأنك أفضل .. لا شك فى هذا .. »

يريد القول إن حالتى سيئة جدًّا ، لكن لا بأس ببعض التفاؤل ..

كانت علامات استفهام عديدة تحوم حولى .. خاصة بعد حادث المعالج الرومانى ، وتهامست الممرضات أننى ممسوس أو أن لى علاقة بالشياطين . فليعتقدن ما يردن ... الحقيقة أن كلامهن لا يخلو من بعض الحقيقة . واحد على علاقة بلوسيفر وأبراكساس ونوسفيراتو .. من قال إنه ليس على علاقة بالشياطين ؟

قامت الممرضة بتركيب المحلول فى ساعدى ، فرقدت على الفراش أنظر للسقف .. الكشاف النيون الأنيق .. لقد خدعنى الرومانى إذن .. كانت هذه ألعاب حواة مما دأب المعالجون الروحانيون على ممارستها . منذ أعوام جاء لمصر معالج فلبينى استأصل المرارة بدون جراحة لعشرات المصريين .. وكان يعطى المريض مرارته فى قطعة قطن . لما عاد لبلاده بعد ذلك عاودت آلام المرارة كل مرضاه ، واكتشفوا جميعًا أن المرارة موجودة . كان هذا فى عصر ما قبل الأشعة التلفزيونية طبعًا لذا كان البحث عن المرارة صعبًا ، ولهذا تأخر الاكتشاف طويلاً إلى أن فر النصاب .

خدعنى الرومانى ..

لم تكن هناك أوراق فى كمه ، ومعنى هذا أننى كنت سأقدم له الكتاب مجانًا .. كنت سأمنحه قوة هائلة وقدرة على الشر لا حد لها ... ومن الجلى أنه تلقى عقابًا قاسيًا على هذه اللعبة التى مارسها . مهما بلغت خصوبة خيالك فأنت لا تتخيل أبدًا أن يخرج شىء من المرآة ليمزقك ...

من الذى قتله إذن ؟... معنى هذا أن القاتل أنقذ الكتاب من الضياع ...

هل لى ملاك حارس ؟....

كان المحلول يسرى فى عروقى ، وأعتقد أن الممرضة حقنتنى كذلك ببعض الميدازولام .. صرت أحب هذه اللحظات فعلاً ، عندما يذهب الألم العقلى والجسدى .. هناك وحشان يلتهمان أعصابى : السرطان الشرس .. ووحش الأفكار والقلق ... أريد بعض الراحة . الموت سوف يريحنى من الوحشين على ما أعتقد .. لكننى مذعور برغم ذلك ..

هل المـــوت شبيه بهـــذا ؟ النعاس ... الجفنان الثقيلان ... الـــ ..... .

بالفعل .. بالفعل ..

لهـــذا لم أستطع أن أقضى على الممســـات التى تحـــاول الظفر بى ..

هويت على أكثرها بالبلطـــة وقطعت العديد منها ، كأننى هركيول وهو يحارب الهيدرا ... لكن ذلك الشىء المرعب الفائر كان يلتف حول القلعة وينفث السم والدماء والصديد .. هذا هو السرطان .. لا شك فى هذا ...

ووووش ش ش ! القلعة هى أنا وقد عجزت عن الفرار ..

الأرض تميد تحت قدمى . هذا عالم موازٍ ، فهل الموت فيه يعنى أننى ميت ؟ ، وهل يمكن الموت فيه أصلاً ؟

ولو كان هذا عالمًا موازيًا ، فأين الأحلام المنسية وقصص الحب المنهزمة والذكريات الضائعة ؟

أين وجوه من غابوا عنا ؟ وأين قدراتى التى فقدتها ؟ أين ضحكاتى ودموعى فيما سبق ؟

كان هذا الشىء يوشك على التهامى ..

الأرض تميد بى أكثر .. هل من قاعٍ فى هذا العالم ؟ هل تمس قدماى شيئًا أم هى الهاوية اللانهائية ؟ اللانهاية مفزعة أبدًا بالنسبة لعقولنا الواهنة . كيف يمتد الكون إلى ما لا نهاية ؟ كيف تمتد بنا الحياة فى العالم الآخر إلى ما لا نهاية ؟ كل هذا مرعب . أملى الوحيد أن أتوقف عن السقوط أو أموت ..

ثم شـــعرت بذلك الشىء يتـــدلى إلى جوارى .. حبل أتعلق به أو ....

تمسكت به .. تمسكت بقوة .. ورفعت رأسى بحثًا عمَّن يمد لى يد العون هذه فلم أتبينه لأن الظلام كان يغمر هذا الجزء من مجال الرؤية ...

ـ « تشبث أو مت ... »

ولكن من أنت ؟

ـ « تشبث أو مت ... »

أنا أشتهى الموت ، لكن هل هو موت حقًّا أم سقوط يستمر للأبد ؟

ـ « تشبث أو مت ... »

أتشبث .. أتشبث وأرتفع .... أحلق ...

فوق الممسات الشرسة النهمة أحلق ..

فوق الأرض التى تذوب أحلق ...

يمكننى أن أفهم هذا الذى أتمسك به .. أقرب إلى حرام صوفى أو (تلفيعة) من التى كنا نضعها حول أعناقنا فى القرية ..

فى النهاية وجدت نفسى راقدًا وسط ذيول القطط المتأرجحة .. القلعة قد التهمها الكائن بالكامل تقريبًا لكنه لم يعد يهتم بى ..

من الذى ينقذنى فى هذا العالم ؟

رفعت رأسى فوجدت السماء تسيل بسائل أزرق غريب يبللنى ويبلل خلاياى ... سائل لزج بارد مقيت .. كأنها لوحة زيتية تسيل ...

كان يقف هناك فى مكان من هـذا المشهد .. أرى شبحه وأسمع صوته ...

ليس لوسيفر .. أنا أعرف قامة الأخير وصوته .. أعرف حضوره الأسود القاتم ...

من أنت ؟

كان هـذا هو اللقــاء ... اللقــاء الأخطر والأهم والأخير فى حياتى ....

(ي)

يوم خاص

ـ 1 ـ

اخرج يا من تأتى فى الظلام وتدخل خلسة . هل أتيت لتقبل هذا الطفل ؟؟ لن أسمح لك . هل أتيت لتأخذه ؟ لن أسمح لك بأخذه منى ..

* * *

ومن جديد تحملنى موجات الذكريات إلى شط آخر ..

أنا ريشة تحملها الأنواء من موضع لموضع ، ولا إرادة لى .. هكذا أطير حول (عادل مينا) عدة دوائر ثم أبتعد ثم أقترب من جديد ...

لابد أن هذا كان فى أوائل الثمانينيات . كنت فى مكتبى بالكلية أراجع رسالة ماجستير ما ، وكان رأفت صديقى جالسًا يمتص كوبًا من الشاى .. عندما انفتح الباب وظهر ذلك الرجل ..

كان عادل أقرب للوسامة والارستقراطية .. لكنى أدركت من الشعر الساقط على وجهه ورجفة زاوية فمه ، ومن عينيه المتسعتين .. أدركت أنه تحت وطأة تهديد مرعب ... هذا رجل يطارده الموت أو هو يتخيل هذا ..

ـ « د . رفعت إسماعيل ؟ »

ـ « بالطبع .. ولكن اهدأ قليلاً بالله عليك .. »

جلس على أول مقعد وراح يجفف عرقه وقال :

ـ « أنا عادل مينا .. مهندس ..... »

ـ « تشرفنا .. لكن هذا ليس سببًا كافيًا للقلق ... لى صديق مهندس مثلك لكنه ليس قلقًا لهذا الحد . أعرف مهندسين كثيرين غير قلقين .. »

تنهد فى عمق وقال :

ـ « قيل لى إنك قادر على حل مشكلتى ؟ »

استندت بذقنى إلى قبضتى وتساءلت :

ـ « هل أنت مصاب بفقر دم متقدم ؟ هل تنزف من أنفك بلا سبب ؟ »

ـ « لا .. أريد الجانب الثانى منك .. جانب ما وراء الطبيعة .. الميتافيزيقى .. »

هذا غريب .. هناك حالات من أمراض الدم تجعل المريض يبدو مذعورًا فعلاً .

أجلسته وطلبت منه أن يتكلم .. أشعل لفافة تبغ وانتظر حتى بدأت رجفة يده تزول ، ثم قال :

ـ « أنا محكوم علىّ بالموت .. لا شك فى هذا .. »

* * *

قال عادل :

منذ أعوام كان مكتبى الهندسى ناجحًا فعلاً .. كان لدىّ هامش من الربح يتيح لى رؤية العالم ، وبالفعل خصصت مبلغًا سنويًا لأرى بلدين أو ثلاثة لم أرهما من قبل ..

لم أكن قد رأيت البرازيل ، ولهذا ذهبت لها فى ذلك الصيف منذ عام ..

البرازيل بلد غريب فيه تنوع عرقى مذهل ، وعندما ترمق الفتيات فأنت تشعر للحظات أنهن زنجيات وللحظات أنهن هنديات وللحظات أنهن برتغاليات شقراوات .. كل شىء غريب هناك .. بالفعل هذا بلد يحوى كل ألوان الببغاء المبهرجة ...

كنت فى رحلة سياحية أتعرف معالم البلاد الساحرة ، وكنت فى الخامسة والثلاثين من عمرى .. لم ألمس امرأة قط ولم تكن لدىّ علاقات عاطفية .

هنا اكتشفت باولا .. بركان الأنوثة الحارق رائع الجمال ..

لا أحد يصمد أمام باولا الجميلة المفعمة بالحيوية ، خاصة أنها تعتقد أن جميع الرجال وسيمون أقوياء جديرون بالحب . لم تكن تجد غضاضة فى الحب الجسدى أو القبلات الحارة ، وكانت سمراء لها طابع شبه أفريقى .. بالفعل عرفت أنها من جالية تدعى (لوكيمى) وهم قادمون من أفريقيا أصلاً ..

مع باولا رأيت البرازيل كما لم يرها أحد من قبل ... لا أعتقد أن مصريًا رأى كل هذا الذى رأيته فى البرازيل .. لقد تحوّل هذا البلد الساحر إلى فتاة سمراء تحبنى ، وظل قلبى يخفق كلما سمعت حرفًا من حروف اسم البرازيل .. مثلما يقول قيس بن الملوّح :

أُحِبُّ مِنَ الأَسماءِ ما وافَقَ اسمَها أَو أَشبَهَهُ أَو كانَ مِنهُ مُدانِيا

هنا تدخلت ـ أنا رفعت إسماعيل ـ فى الكلام وقد تغلبت على غدة السخرية التى لا أجد منها فرارًا :

ـ « إذن أنت تحب لفظة (البراز) .. معظم حروف (البرازيل) فيها .. »

ثم اعتذرت بشدة .. لقد كان هذا أقوى منى . واصل عادل السرد بعد ما شفى من امتقاع وجهه :

ـ « عشت قصة حب ممتازة .. وطلبت منها أن تعود معى إلى مصر ... »

لم يكن أهل الفتاة فى مثل جمالها ولطفها ، وقد اعتبروا أن زواجها من جنسية أخرى إهانة لهم .. هم عنصريون جدًّا يشعرون بأنهم طبقة متميزة ...

مع الوقت حاصروها .. صارت عصفورًا حبيسًا فى شباكهم . الفتاة فى البرازيل تملك قسطًا مرعبًا من الحرية ، ولعمرى تلك من المشاكل التى كنت أتوقعها فى مصر .. كيف أضع هذه الفتاة فى أصفاد المجتمع الشرقى ، وكيف أجعلها تلبس شيئًا ؟ المرأة هنا فخور بأنوثتها ترى أنها يجب أن تعرضها طيلة الوقت ... تخرج وترقص فى أى وقت وكل وقت ....

أقول هذا بغرض توضيح ان حياة الفتاة صارت جحيمًا لما حوصرت ..

كانت لها أم تبدو كساحرة عجوز ، وأب هو شيخ مسن عصبى ضيق الخلق .. تراه جالسًا فى حديقة البيت ممسكًا بخرطوم الماء يسقى به النباتات ، وهو يلبس الشورت والفانلة الداخلية ، فتقشعر لفكرة أن هذا حموك .. الأسرة غير مشجعة على الإطلاق ولا أعرف سبب هذا الغرور العنصرى لديهم .. أعتقد أننى سأضيف شرفًا لهذه الأسرة بلا شك ..

فى النهاية أدركت أن قصة الحب هذه مستحيلة ..

أرسلت لها خطابًا بالبرتغالية التى بدأت أتقنها .. قلت لها إن قصة الحب هذه بلا جدوى . أرجو أن تنسانى وأن تتمكن من أن تحيا حياة عادية ...

بعد يومين من إرسال الخطاب فوجئت بالصبى (راموس) الذى كان يلعب دور مرسال الغرام بيننا ، يركض للفندق الذى أقيم فيه .. يطلب لقائى ..

عندما نزلت لألقاه كان دامع العينين شاحب الوجه يتدلى خيط مخاط طويل من أنفه ..

قال لى وهو يولول إن الآنسة باولا قد ماتت ..

كيف ماتت ؟..

وجدوها فى الحمام وقد قطعت شرايين معصمها ...

* * *

– 2 –

والآن انبطحى .. لا تنسى يا سيدتى أن تنبطحى .. !

* * *

قال عادل :

عندما ذهبت إلى الجنازة رأيت الأسرة كلها واقفة هناك مطرقة .. الكل يلبس الأسود ... الجثة الحبيبة ممددة على منضدة وقد أغمضت عينيها للأبد ... ورأيت معصمها مربوطًا ..

كانت هذه حديقة الأسرة وقد دنا وقت الغروب ، وتضوع الهواء برائحة حزينة من أكمام الزهر . وقد وقف صف من الرجال يهومون بنغمة حزينة خفيضة ... الحق أن الجو لم يكن مسيحيًا .. لم يكن مسيحيًا على الإطلاق ، بل هناك طابع وثنى واضح ..

لربما رقصوا حول الجثة .. لربما أحرقوها بعد انتهاء هذه الطقوس ..

دنوت من الجثة لألثم جبينها وأنا لا أتمالك نفسى من البكاء ، لكن يدًا مخلبية أوقفتنى .. رفعت وجهى لأرى الأم منكوشة الشعر جاحظة العينين ترمقنى كأننى أفعى سامة ..

وراحت تردد وهى تشير لخارج الحديقة :

ـ « ديشاـ لا !! ... ارحل ! .. ديشاـ لا !! .... »

تراجعت ببطء متظاهرًا بأننى لم أفهم أنها تطردنى .. كانت تتكلم بعصبية وبسرعة بحيث لم تعد لغتى البرتغالية الضعيفة تسمح لى بالفهم .. فقط على باب الحديقة قالت وهى ترسم فى الهواء علامة معقدة لا أفهمها :

ـ « سوف تموت ميتة بشعة فى أولوبا .. عام من الآن !! »

ـ « ستلحق بباولا ! »

فررت من الساحرة العجوز وأنا أرتجف .. بالفعل هى ساحرة عجوز .. لم يخالجنى أى شك فى أن تهديدها صادق . لا أعنى أن ما قالته سيتم ، لكن أعنى أن كرهها حقيقى وخطر ..

بالنسبة لها أنا من حرمها من ابنتها الرائعة ..

لا داعى لأن أقول إننى أنهيت كل ارتباط لى فى البرتغال وفررت بجلدى . عدت لمصر وحاولت أن أبدأ حياتى من جديد ..

شعور غريب مضنٍ أن تعرف أن هناك من يمقتك بجنون فى الجانب الآخر من العالم ..

* * *

قلت للمهندس المذعور وأنا أدون بعض بيانات قصته :

ـ « بالطبع أنت جئت الآن لأن موعد انتقامها قد حان .. قالت (بعد سنة) منذ سنة .. إذن فقد حان الحين .. »

هز رأسه فى رعب ، ثم أضاف :

ـ « على فكرة .. لقد كانت باولا تحتفظ بقميص لى ... قالت إنه يذكرها بى .. »

حككت صلعتى مفكرًا ثم قلت :

ـ « هذه فكرة سيئة .. أنت تعرف سحر الاقتران .. لدى المرأة كل ما يلزم كى تصنع لك دمية فتيش أو أى طقس آخر يؤذيك ... »

أضاف راجفًا وهو يحاول اقتناص لفافة تبغ أخرى باللهب :

ـ « الأسوأ أن لدىَّ عملاً يقتضى السفر إلى المكسيك عمَّا قريب ... لا أعرف هل أذهب أم لا ... »

تدخل صديقى د . رأفت فى حماسة وقد سمع القصة كلها :

ـ « كل هذا سخف لكن لا أنصحك بالذهاب إلى المكسيك .. أنت بهذا تعود للبرازيل .. »

قلت فى غيظ :

ـ « المكسيك ليست فى أمريكا الجنوبية .. كف عن الخلط الجغرافى يا رأفت .. »

ثم قلت للمهندس :

ـ « سوف أتصل بك قريبًا .. لا تقلق .. اللعنات فى كل مكان لكن قليلاً جدًّا منها ينجح .. معظم السحرة نصابون يتظاهرون بأنهم كذلك .. » .

* * *

بعـــد يومين اتصلت بالمهندس عـــادل على الرقم الذى تركه لدىَّ .. لما جاء صوته الملهوف قلت له :

ـ « أعتقد أن عليك أن تلغى رحلة المكسيك هذه ... »

ـ « كنت أفكر فى هذا لكن ما السبب ؟ »

ابتلعت ريقى وقلت :

ـ « بحثت فى دائرة المعارف .. أولوبا محافظة صغيرة فى جواتيمالا .. قريبة من المكسيك جدًّا .. هكذا تصير نبوءة المرأة منطقية ومفهومة . الموت ينتظرك فى أولوبا .. من قال لها إنك ستكون هناك بعد عام ؟.. بينى وبينك .. أعتقد أنه من الحكمة ألا تذهب .. »

ـ « يا للهول ! »

وشكرنى مرارًا .. لو كان هذا التفسير صائبًا فأنا قد قدمت له خدمة العمر فعلاً . وضع السماعة ونمت راضيًا عن نفسى ..

إلا أنه اتصل بى بعد يومين .. وفى موعد نومى كالعادة .

قال لى وهو يرتجف، :

ــ « تصور أن الرعب أنسانى تلك الرقيقة التى بخعت نفسها من أجلى ... إن الإنسان مخلوق أنانى فعلاً .. »

قلت متظاهرًا بالحكمة :

ــ « بل هو عملى جدًا .. لكنك لم تتصل بى لهذا الغرض كما أظن .. »

قال لى :

ــ « هناك بالفعل أشياء غريبة .. هناك من يحوم حول مكتبى .. هناك من يراقب بيتى .. أمس كادت سيارة تدهمنى .. إن أعصابى قد انتهت فعلاً .... »

ــ « لحظة .. من الجائز أن هذه هستيريا بسبب الرعب .. »

ــ « هستيريا لكنها تقودنى للجنون فعلاً .. لم أعد قادرًا على ممارسة حياتى وأنا أتوقع الذبح فى أى لحظة .. »

قلت له :

ــ « حاول أن تبتعد بعض الوقت .. لكن ليس لجواتيمالا لو سمحت .. »

وضع السماعة .. وأعرف أنه لم ينم لحظة بعد هذا ...

* * *

لأنه من النار تأتى النار ، وإلى الدخان يصير الدخان ، وفى الرماد يفنى الرماد . تعالَ إلىَّ يا دم دمائى وابن أبنائى .

* * *

عندما عدت إلى مكتبى فى الكلية بعد يومين ، كنت مبعثر المظهر شاحب الوجه . وجدت د. رأفت منهمكًا فى البحث فى مرجع ، فلما رآنى هش وبش وطلب لى قدح قهوة ، ثم قال :

ــ « ما هى أخبار ذلك الشاب الذى كان عندك منذ أيام ؟ »

تنهدت ونزعت سترة بذلتى وعلقتها على المشجب وقلت :

ــ « ماذا تتوقع ؟ مات طبعًا .. احترق حيًّا .. »

نظر لى فى ذهول وتقلص فمه غير مصدق ما أقول .. وارتفع حاجباه فى عدم تصديق ، فقلت :

ــ « كانت النبوءة صادقة للأسف .. لقد شعر بالخطر فى كل لحظة ، وقرر أن يقضى اليوم الصعب الذى يكمل العام فى قسم

الشرطة . هناك فى حماية الشرطة يمكن أن تمر اللحظات القاسية . لو كان هناك قاتل يبغى قتله فلن يستطيع أن يظفر به . افتعل مشاجرة وذهب لقسم الشرطة حيث تشاجر مع الضابط وشتمه ، وهكذا برغم مهنته المحترمة لم يجد الضابط مفرًا من إبقائه فى الحجز .. بدا له ذلك المهندس مصرًا على السجن وعدوانيًا جدًا ... »

قال رأفت فى دهشة :

ـ « إذن كيف مات ؟ »

ـ « حدث ماس كهربى فى الحجز .. اشتعل مصباح وامتد الشرر لبطانية صوفية ودكة خشبية .. حاول الكثيرون الهرب ، لكن النار تمسكت بعادل من دون سواه واحترق وهو يصرخ لأنه كان يلتف بتلك البطانية .. حاولوا إنقاذه فلم يستطيعوا . آخر ما قاله قبل الاحتضار هو اسمى ورقم هاتفى ، ولو لم يفعل لما فهمت سبب اختفائه إلى أن أقرأه فى الصحف ... »

تساءل رأفت :

ـ « والتفسير؟ »

ارتشفت بعض القهوة وتلمظت .. لقد كان مذاقها جيدًا قويًا .. وقلت :

ـ « لقد صدقت النبوءة فعلاً .. الساحرة العجوز انتقمت لابنتها .. وما لم يخطر لنا هو أن أسرة الفتاة من جالية لوكومى المقيمة فى البرازيل .. أى أنهم يستعملون الكثير من مصطلحات لغة (يوربا) المستخدمة فى نيجيريا والكونغو ... »

ـ « ومعنى هذا ؟ »

ـ « استعنت بصديق سيراليونى يقيم فى القاهرة لأفهم .. أولوبا لفظة يوربية معناها (البوليس) أو (قسم الشرطة) .. الأم أنذرته من أنه سيموت ميتة بشعة فى قسم شرطة ! وهذا بالذات هو المكان الذى لجأ إليه طلبًا للاحتماء ! » .

* * *

ـ 1 ـ

لِمَ انطفأ المصباح ؟

ـ لقد أحطته بمعطفى ، ليكون بمنجىً من الريح ،

ولهذا فقد انطفأ المصباح .

ـ لِمَ ذوت الزهرة ؟

ـ لقد شددتها إلى قلبى ، فى شغف قلق

ولهذا فقد ذوت الزهرة .

ـ لِمَ نضب النهر ؟

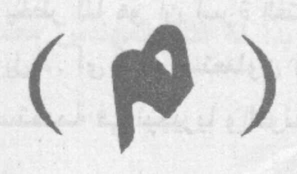
ـ لقد وضعت سدًّا فى مجراه لأفيد منه وحدى ،

ولهذا فقد نضب النهر .

طاغور

* * *

هناك جيتار عند قدمى ..





جيتــار فى هـذا العالم ؟ لو عزفت عليه لماجت العواصف وزأرت الدببة فى الكهوف . هذا الجيتار يخفى الأبدية فى أوتاره .. لا شك فى هذا ...

فئران فى كل موضع .. فئران تحيط بى . فئران تثب فوق قدمى .. منتفشة مغطاة بالحراشف .. كريهة الرائحة .. أهوى عليها بالجيتار ..

على قدر علمى أنا أول شخص فى التاريخ يقتل الفئران بالجيتار ...

وهناك وسط الأرض التى تذوب تحت قدمى رفعت رأسى ....

رأيت ذلك الشخص معلقًا وسط الغيوم .. معلقًا وسط الصواعق والبروق .. لا أرى وجهه لكنى أعرف أنه هناك .. مكبلاً كأنه بروميثيوس المعلق بين جبلين يتلقى العقاب على سرقة النار ..

ليس لوسيفر .. أنا أعرف قامة الأخير وصوته .. أعرف حضوره الأسود القاتم ...

من أنت ؟

ـ « أبى ! »

الكلمة تدوى كالصدى ، وتتردد عبر السهوب .. يبصقها الثبج وأمواه المحيط ...

ـ « أبى ! »

أنا لست أبًا أحد .. لماذا تنادينى بهذا الاسم ؟

ـ « أبى ! »

أنت سمير ! ... أنت الصبى الذى ظفرت به خلال أشهر .. ابن إليانور الساحرة أو بعبارة أخرى رونيل السوداء .. لقد كان لى ابن لعدة أيام ثم تلاشى ...

بلاد القوط الشرقيين ...

الرحلة فى بحر البلطيق الرهيب ... الذى يقع بين (ألمانيا) و(فنلندا) و(الدنمارك) و(السويد) و(أستونيا) و(بولندا) .. بحر العواصف الذى لا يرفق بالسفن أبدًا .. تربطه قناة (القيصر فلهلم) ببحر الشمال الأسطورى ..

بحر ثائر متوحش لا يمكن التنبؤ به مثل .. مثل (رونيل) السوداء ..

الجزيرة . الجزيرة الى يتطير البحارة من ذكر اسمها ...

هناك كنت مقيدًا .. وهناك كان سمير مقيدًا .. وهناك قيدت رونيل السوداء نفسها بالأصفاد وأحرقوها ... لكن التعويذة كانت خطأ ...

كانت تريد تحرير الساحر الشيطانى جيلبرت ..

جيلبرت المكبل منذ قرون ينتظر لحظة الخلاص ...

السحرة وعبدة الشيطان الذين اتخذوا شكل الفئران .. كانوا هم الذين يحيطون بى هناك وهنا ...

سمير .. أين سمير ؟

ــ « لن تجد إجابة .. ربما رحل مع هؤلاء القوم الفئران وربما هو سجين مع (جيلبرت) .. لن تعرف أبدًا .. »

ــ « أبى ! »

ــ « سمير ! .. هذا أنت ! »

من الذى كان يظهر فى المستشفى ؟.. من الذى رأته الممرضة وتلاشى ؟ من الذى مزق المعالج الرومانى ...

ــ « سمير .. انت حى ! »

ــ « ليس بالضبط يا أبى .. إننى سجين فى هذا العالم .. منذ فشلت محاولة تحرير جيلبرت صرت أنا وهو هنا .. مكبلين . ظلى يسقط فى عالم البشر ويمكننى أن أفعل أشياء كثيرة ، لكنى لن أغادر هنا أبدًا ... سوف أبقى معلقًا إلى يوم الدينونة .. »

ــ « من قتل المعالج ؟ هل كان هذا أنت ؟ أنت من خرج من المرآة ؟ »

ــ « لم يكن أنا .. كان ظلى الساقط فى عالمكم ... »

ــ « ولماذا فعل الظل ما فعله الظل ؟ »

ــ « لأن الكتاب ثمين .. وما كان لك أن تسمح بأن يستولى عليه النصاب .. هذا الكتاب قادر على تحريرنا .. هذا الكتاب له عشرات الأذرع ... إنه مخيف .. وأنت عقدت صفقة مع نصاب كذوب . ما كان بوسعى أن آخذ الكتاب لكن بوسعى أن أمزق النصاب تمزيقًا ... »

ـ « ولمـاذا الآن ؟ ظللت غائبًا هـذه الأعـوام ثم قررت الاتصال .. »

ـ « لأنك بين عالمين يا أبى .. لك قدم على الأرض وقدم على حافة الأبدية ... أنت قادر على العبور إلى عالمى .. قادر على سماعى ... وعما قريب ترحل إلى عالم آخر .. لن أتبعك وقتها .. »

ـ « وكيف تتحرر ؟ »

ـ « عليك أن تجد السبيل يا أبى .. سـوف تجد السبيل يا أبى لقد أخفى كاتيوم السبيل وجعل من العسير أن تجدنى أو تجد جيلبرت ، لأنه يريد الانتقام . إنما ترك لك أتباع جيلبرت الرموز التى تقودك للحل . لو استطعت حل الرموز فلسوف تصل إلى محبسنا ... »

ـ « ووقتها ؟ »

ـ « وقتها تقوم بالتضحية الكبرى ... »

وبدأ الظل يرتفع فى الأفق وسط الأضواء والسحب والغيوم ، ومن الأرض تعالى دخان أخضر غريب مخيف .. وسمعت صوته يصرخ :

ـ « حررنى يا أبى ... أن أهبط على ثرى الأرض أو ألحق بك فى عالم الفناء .. هذا أهون وأحب إلى من هذا السجن الأبدى .. حررنى يا أبى .. »

* * *

.« داسيوس ريانوس هلكعال جيلبرت !! »

* * *

كنت على الثرى وسط الدخان الأخضر ...

كنت أسمع صوت الفتى ينادينى :

ـ « حررنى يا أبى .. »

نداء الدم هو ما يحركنى ، أما عن الحب الأبوى فأنا لم أعرفه بما يكفى قط .. كانت تجربة ملعونة ، لكن هذا الفتى برغم كل شىء يحوى جزءًا من جيناتى ... كان يمكن أن يكون لى بالكامل لو تزوجت بطريقة عادية ، لكنه يحمل كذلك جينات رونيل السوداء .. ربما كل جيناتها ، وهذا يجعله مرعبًا ..

هل يعبث بى ؟

كنت على الثرى وسط الدخان الأخضر ..

هنـــاك وجدت تلك الدميـــة .. دمية فتيش قماشية .. لا يمكن أن أخطئ فى تمييز هذه الأشياء . دمية فتيش بدائية مخيطة بشكل فظ أخرق ، ويخرج منها قش وشعر .. لا بد أنها محشوة بأظفار ..

هناك أشياء متناثرة فى هذا العالم ، لا يبدو لى أنها تركت بمحض الصدفة . ثمة رسالة لكنى لا أعى ما هى ...

من أجله يجب أن أعرف ....

* * *



(و)

ويلما قد ماتت

– 1 –

ما زلت لا أعرف :

هل هو سعار فى الضياء ؟ أم سعار فى الفجر ؟ أم هو سعار فى العتم ؟

الإجابة تقرر كل شىء ...

* * *

يا لوعيى المضطرب .. !!!

المورفين والميدازولام يفتكان بعقلى فعلاً ، ومن جديد أشعر بأن كل ما عشته وعرفته كان هلوسة .. ربما أنا أحتضر بالسرطان منذ البداية ، وكل هـذا الذى عشته كان حلمًا طويلاً معقدًا ...

لكنى آخذ شهيقًا عميقًا وأحاول العودة لوعيى ... أنا موجود .. ذكرياتى هى ذكرياتى وليس هلاوسى ...

أنا ما أعرفه عن نفسى بالضبط ...

اليوم زارنى عادل صديق الصبا .. لا بد أنه مساعد وزير الداخلية أو وزير الداخلية نفسه الآن . شائب الشعر مجعد الوجه ترهقه المسئوليات . من جديد يكرر عرضه بأن يسعى فى سفرى للعلاج بالخارج ، لكنى أقسمت له أن العلاج واحد .. لا يوجد ما يمكن عمله ، وأطباء المستشفى هنا أكفاء فعلاً .

ما زال عادل هو عادل .. تؤرقه الرغبة فى عمل شىء ما .. أى حركة فى أى اتجاه ..

تبادلنا الحكايات عـن الماضى ... وحكى لى عـن هويدا وأولادها الذين تزوجوا منذ أعوام ....

عندما نهض ليرحل ، انحنى وعانقنى بقوة وقال :

ـ « فى الزيارة القادمة ستكون حيًّا ... ستكون أفضل .. هه ؟ »

ـ « حاضر .. ثق بى .. سأكون ذا شعر ناعم غزير كذلك ، ولربما صارت عيناى زرقاوين .. »

ـ « سيكون هذا رائعًا .. »

ثم انصرف . وجلست بعض الوقت أنظر فى الاتجاه الذى ذهب فيه .. السفينة تبتعد وعليها كل رفاقى وأنا فى البحر وحدى .. خذونى معكم .. يا حمقى ...

قصة أخرى تداعب ذاكرتى الآن ....

* * *

مجموعة النداء الثانى :

أشيوست ديمترا ــ أرسادوك

(فى وجه القمر)

إينياس (تعمل وحدها دون معين)

لا تحاول ترديد هــذه العبارات بصوت يعلو على صــوت وجدانك إلا بنية الاستعمال .. فيما عدا هذا تتم القراءة سرًا وبالعينين فقط ...

* * *

حضرت هذه التجربة عندما كنت فى لندن منذ أعوام ...

لا بد أننى كنت مع مجموعة من المختصين بعوالم الخوارق والظواهر الفورتية . المشكلة هى أنهم يضعوننى دومًا فى هذه المجتمعات ويدعوننى إلى إبداء الرأى .. الفكرة هى أن إبداء الرأى صعب جدًا فى هذه الأمور ، لكن لى مزية واحدة مهمة

هى أننى صرت خبيرًا بالنصب .. أشمه وأشعر به بسهولة .. باختصار صار من العسير خداعى ...

بهذا كنت ألعب الدور الذى لعبه بعد أعوام جيمس راندى ، ولعبه هودينى فى بداية القرن العشرين .. دور الـ Debunker أو كاشف الخداع ..

كان هناك بروفسور ــ لا أدرى فى أى شىء بالضبط ــ اسمه (ريدارد ريدنج) .. وهو رجل بدين متحذلق أصلع الرأس وله سوالف منفشة ، لهذا يذكرك جدًا بقردة البابون ..

وكان هناك خبير تنويم مغناطيسى اسمه (جون ويتلاند) ... رجــل نحيــل عصبى لكن له عينــان ثاقبتان قويتان ، تميــزان مهنته .. كل منوم مغناطيسى عرفتــه فى حيــاتى كانت عينــاه كالمثقابين سواء كان صادقًا أم نصابًا ....

كان ويتلاند منومًا ذائع الشهرة ، وقد حقق نجاحًا عظيمًا فى أوروبا وقام بجولات إلى العالم الجديد . لما سمع الجميع عنه وعــن قدراته الخارقة دعــاه العلماء إلى أن يريهم فنونه عن قريب ..

قال لى البروفسور ريدنج وهو يغمز بعينه :

ــ « سوف ترى .. لن يجرؤ على الحضور . جمهور هؤلاء ليسوا من العلماء المدققين ، بل من الجمهور العادى الأبله قليلاً الذى يؤم المسارح ... »

هززت رأسى .

لم أعد واثقًا من شىء فى العالم ، لذا أفضل أن أنتظر وأرى ..

جلست على مقعد وثير أدخن السيجار الذى قدموه لى . موضوع السيجار مهم جدًا فى الأندية البريطانية المتحذلقة ...

فجأة سمعت شهقات عندما دخل ويتلاند المكان ومعه امرأة جميلة شاحبة الوجه . مناسبة جدًا كى تكون زوجته ، وتذكرت مقولة أن الزوجين يبهتان شكلاً على بعضهما ..

حيانا ويتلاند وقدم لنا السيدة .. ويلما زوجته التى تساعده فى العروض . تذكرت زوجـــة هودينى على الفـــور .. لا بد أنها مخادعة مدربة على هذه الألاعيب ..

التف العلماء حول ويتلاند . شرب كأسًا من الكوكتيل ودخن سيجارًا .. ثم طلب أن نخفض الإضاءة .. هو بحاجة لهذا بشدة ..

انخفضت الإضاءة أكثر فأكثر .. صارت درامية جدًا وظلت بقعة نور على عينى المرأة الواسعتين المخيفتين ، وبقعة نور أخرى على عينى المنوم ..

الحقيقة أن الأمر بدا لى كأنه صراع بين وحشين .. وحشين لهما شكل العيون . فقط هناك عينان ترغبان فى التهام عينين أخريين .. تحول كل من الرجل وزوجته إلى بقعة فى الظلام ...

قال لها بصوت عالٍ :

ــ « راقبى عينى يا ويلما .. لا تنظرى إلى أى شىء آخر .. لا تفكرى فى شىء آخر .. »

رأيت المرأة جاحظة العينين ، ثم بدأ جفناها يثقلان .. إنها تدخل سباتًا واضحًا ....

هذا العلم المعقد أو شبه العلم الذى ابتكره الألمانى فرانتس مسمر .. لفظة (مسمرة Mesmerism) دخلت كل اللغات الغربية بمعنى (الغائب عن الوعى شبه المنوم مغناطيسيًا) .. فكرة المغناطيسية الحيوانية .. هذا موضوع يطول شرحه ..

لكن ما الجديد الذى يقدمه هذا الرجل ؟ الكل يفعل ما يفعله .. من النادر أن تقابل اليوم من لا ينوم الناس مغناطيسيًا .. أنا الأحمق الوحيد الذى لا يفعل ..

قال لها بصوت هادئ مخيف :

ـ « ويلما .. هل تسمعيننى ؟ »

ـ « نعم .. »

قالتها بصوت جدير بامرأة نائمة مغناطيسيًا ..

ـ « هل أنت مستعدة ؟ .. »

ـ « نعم .. »

ـ « عندما أفرقع بأناملى ستموتين ... تموتين تمامًا إلى أن تسمعى كلمة (استيقاظ) ... »

ارتجفت رعبًا .. هذا هو الجديد إذن ... لكن هذا اللعب السخيف على الحدود الفاصلة بين عالمين أمر مرعب فعلاً .. سوف تحترق أناملكم ..

كان قد فرقع بأنامله .. فعلاً .. كليك ...

هنا سقطت المرأة من على المقعد ..

ـ 2 ـ

عسى أن يقبض أفعوان على أفعوان ..

* * *

عادت الإضاءة لقوتها الأولى ، بينما تعاونوا على وضع السيدة على سرير كشف .. والتفوا حولها . ناولنى أحدهم جهاز قياس ضغط ومسماعًا باعتبارى الطبيب الحقيقى الوحيد هنا ، بينما قام آخر بتوصيل أقطاب جهاز تخطيط القلب ..

لم أكن أعرف ما أبحث عنه حقًا ، لكنى لففت جهاز الضغط و... فس فس فس .... .

لا شىء .. أصوات كوروتكوف المألوفة المحببة غير موجودة هنا ..

فتحت عين السيدة وسلطت ضوء كشاف صغير عليها . الحدقتان واسعتان لا تستجيبان ...

وضعت المسماع على موضع القلب بالضبط .. لا شىء ..

نظرت لهم فى ذهول ونظرت للمنوم الذى وقف يبتسم فى ثقة ، ثم مددت يدى أفرد شريط تخطيط القلب .. خط واحد مستقيم .... هذا قلب بلا كهرباء ....

قلت وأنا اجفف عرقى :

ــ « لا أدرى .. هذه السيدة ميتة ! »

قال ويتلاند وهو يضع قبضتيه فى خصره :

ــ « بالطبع .. هل كنت تشك فى هذا ؟ »

سألنى البروفسور ريدنج :

ــ « ما احتمالات وجود خدعة يا دكتور رفعت ؟ »

نظرت له وابتلعت ريقى :

ــ « لا توجد حيلة تخفى ضربات القلب .. تمنع التنفس .. تشل حدقة العين .. حتى لو افترضنا أن جهاز التخطيط وجهاز الضغط مزيفان .. »

ــ « إذن هى ميتة ؟ »

عاد ويتلاند يقول فى غيظ حقيقى :

ــ « يا سادة قلت هذا مرارًا .... »

سأله أحد الواقفين :

ــ « هلا أعدتها للحياة ؟.. أخشى أن يفتك بها نقص أكسجين الدماغ أو شىء كهذا .... »

ــ « ليس قبل أن تسجلوا هذا المشهد .. أنتم شهودى لدى المجلات العلمية .. »

قالوا فى لهفة :

ــ « نحن شهود .. نحن شهود .. »

فى ثقة قرب يده من وجه السيدة وطرقع بإبهامه والإصبع الوسط ... كليك .. وهتف :

ــ « استيقاظ ! »

شهقت السيدة بقوة كأنها حوت يغرق .. ثم فتحت عينيها المخيفتين .. ورأيت فى ذهول أن تخطيط القلب بدأ يتشكل .. قمت بقياس ضغط الدم فوجدته 70/110 .. إنها كائن حى ..

نهض ويتلاند فى ثقة وطلب كأسًا آخر للسيدة ...

* * *

وقفت مع البروفسور ريدنج فى الشرفة .. كان مفعمًا بالحيرة وكنت مفعمًا بالأسئلة . قلت له إننى شاهد على كل شىء لكن لا تفسير لدى .. يمكن القول إن السيدة لم تمت لكن أجهزة جسدها توقفت عن العمل تمامًا ...

لحـق بنا ويتلاند نجـم الساعة .. قال لنا : إن ما حدث ليس جديدًا ..

حكى لى عن تجربة علمية مسبقة حدثت عام 1835 . لقد سمع مهراجا (لاهور) عن فقير هندى اسمه (هاريداس) ظل حيًا عدة أعوام بعد دفنه .. وقد كرر الرجل التجربة أمام المهراجا ، ووجد الأطباء الذين فحصوه قبل التجربة أن الرجل قطع عضلات لسانه ليسمح له بأن ينثنى للخلف ليسد مجرى الأنف . وفى اليومين اللذين سبقا موعد الدفن لم يأكل شيئًا إلا اللبن والزبادى (يوجورت) ، ثم فى آخر يوم راح ينظف مجراه الهضمى بطريقة اليوجا كأن يبتلع شريط قماش طوله 27 مترًا ثم يخرجه من فمه ثانية . ثم سد فتحات أذنيه وأنفه بالشمع ، حتى لا تدخلها الحشرات . وجلس فى وضع القرفصاء . هنا لم يعد نبضه محسوسًا . لفوه فى البياضات ووضعوه فى صندوق

وضع عليه المهراجا خاتمه . ودفن الصندوق وزرعوا فوقه الشعير . ثم تم بناء سور وأحاط به الحراس .

بعد 14 يومًا تم هدم الجدار وفتح الصندوق فوجدوا هاريداس فى الوضع ذاته . وخلال ساعة أفاق وصار بصحة طيبة . حاكم البنجاب (رونجيت سنج) قدم هو الآخر عرضًا ظهر فى مجلة طبية رصينة فى ظروف لا تسمح بالخداع .. لقد تم حبس الفقير داخل صندوق فى حفرة . لم تكن هناك دقات قلب برغم أن جسده كان دافئًا . ثم أخرجوه فبدأ يدخل فى تشنجات وعاد له التنفس .

كان كل هذا يبدو غريبًا بالنسبة لى .. رأيت الكثير لكنى لم أر هذا من قبل ...

قلت له فى شرود :

ـ « هذا يذكرنى بالجعران Scarab .. لقد استرعى انتباه قدماء المصريين لأنهم كانوا يعتقدون أنه يموت ثم يبعث من جديد .. »

نظر لى فى إعجاب وهز رأسه :

ـ « جعران .. فعلاً .. هذا أدق وصف ممكن ..... »

لقد نال تصديق العلماء وثقتهم ، لكنى لم أستطع أن أستريح .. لا بد من تفسير ما ....

على كل حال لقد أوشكت أيامى فى إنجلترا على الانتهاء هذه المرة .. بقى لى أسبوعان . سيكون عليه أن يجد شخصًا غيرى يفضح أمره !

* * *

– 3 –

حادث مروع وقع لصاحبنا ..

كنت أعرف أن هذا اللعب بالنار سوف يؤدى إلى كارثة ـ لا أحد يعبث على الحدود بين الحياة والموت وينجو ...

لقد قدم لعبته أو تجربته هذه عدة مرات .. وفى ظروف علمية محكمة ..

يقول ريدنج إن الرجل نوم زوجته مغناطيسيًا ثم همس لها بشىء ما .. بعدها دخلت فى طور الموت المعتاد وتم إجراء التجارب عليها .

قال لها : استيقاظ ..

وفرقـع بأنامله فلم تصـح ... كـرر الطلب عدة مرات فلم تصح ..

فجأة انفجر يصرخ ويلطم خديه :

ـ « أنقذونى !... إنها لا تفيق !... ويلما قد ماتت .. فعلاً !!!.. »

حاولوا أن يعيدوها للحياة ، واتصلوا بالإسعاف .. لا جدوى .. ساعة كاملة مرت فى محاولات خرقاء للتنفس الصناعى وصدمات القلب .. لكن لا جدوى ..

انتزعوه من جوارها وهو يصرخ .. لم يكف عن اعتبار أنه هو من قتلها .. راح يلثم أناملها ويحاول أن يلثم قدميها .. وفى النهاية أجلسوه بعيدًا ..

لقد انهار تمامًا .... ولا ألومه على ذلك ..

* * *

بعد يومين اتصل بى بروفسور ريدنج وقال : إنه يريدنى أن ألحق به فى مستشفى (رويال فرى) فى هامبستيد .. هناك شىء يجب أن أعرفه ..

ثم أضاف بلهجة ذات معنى :

ـ « ويتلاند قد مات مساء أمس .. »

ما هذا ؟... لم أتوقع أنه يحب زوجته بجنون لهذه الدرجة لم أعتقد أنه نموذج للإخلاص . الأزواج الذين يموتون بعد وفاة زوجاتهم بيومين هم أشخاص نادرون ... لكن لماذا المستشفى إذن ؟.. الموتى لا يعالجون فى المستشفى على قدر علمى ...

ذهبت إلى المستشفى المذكور . قابلت ريدنج هناك ..

قال لى وهو يتقدمنى إلى غرفة جانبية :

ـ « الفتاة فى حالة انهيار عصبى تام .. لكنها تحكى قصة غريبة . أعتقد أنها جنت ... »

ـ « فتاة ؟ »

ـ « نعم .. سكرتيرة ويتلاند .. اسمها دوروثى .. »

دخلنا الغرفة لأجد فتاة رائعة الجمال .. أجمل وجه رأيته فى بريطانيا منذ فترة ، لكنها كانت فى حالة عصبية سيئة . قلت لنفسى إنه غرام السكرتيرة المعتاد بمديرها .. لم تتحمل أن يموت بهذه السرعة .... هذا رجل محظوظ مع أنه مات ....

لكن ريدنج جلس جوارها على طرف الفراش وعاد يسألها :

ـ « دوروثى .. لا أريد أن أذكرك بما حدث .. لكن لا بد أن يسمع هذا السيد قصتك .. »

قالت وهى ترتجف والدمع يسيل كصنبور من مقلتيها :

ـ « المقبـرة .. أخذنى جـون ويتلاند لنزور المقبـرة فى الليل ... كان يضحك وقال لى : إن ويلما قـد ماتت بحق هـذه المرة ... لم تعد مثل الجعران ... وراح يكرر : الجعران .. ها ها .. الجعران .. هاها ... »

ثم غطت وجهها فى الملاءة وانفجرت فى بكاء هستيرى :

ـ « انشقت الأرض .. فجوة حدثت وسط التراب الذى يغطى القبر .. كانت هناك يد .. يد أطبقت على كاحل جون .. صرخ وحاول التراجع ، لكن اليد كانت قوية كالكماشة .. وأعتقد أنها جرته معها تحت التراب .. سمعته يصرخ ويحاول المقاومة .. كان الظلام دامسًا فرحت أجرى بحثًا عن نجدة .. تعثرت مرارًا .. ثم فقدت رشدى .. عندما عدت للوعى عرفت أنهم وجدوا جثة ويتلاند جوار القبر .. لقد اصطدمت رأسه بشاهد القبر .. و .. مات ..... »

هنا دخلت الممرضة وطلبت منا أن نكتفى .. الفتاة مرهقة ونحن أوغاد ...

خرجت ورأسى يدور وقلت لريدنج :

ـ « هل فهمت ؟ »

ـ « لا .. »

ـ « ألم تدرك أنه كان علاقة حب مع سكرتيرته ؟ »

ـ « هذا واضح .. ولكن ؟ »

ـ « وضع خطة ممتازة للخلاص من زوجته ويلما بحيث لا يتم توجيه أى اتهام له . أجرى هذه التجربة مرارًا وكان يأمرها أن تصحو كلما قال (استيقاظ) ... فى هذه المرة قال لها : إنها ستعود للحياة لو لفظ كلمة (جعران) . أنا أوحيت له بهذه الكلمة عندما كلمته عن قدماء المصريين .. ويبدو أنها تركت أثرًا عميقًا فى نفسه . لم يقل لزوجته أثناء العرض لفظة (جعران) بل استعمل اللفظة القديمة (استيقاظ) . لم تفق طبعًا واعتبرت ميتة .. لقد قتلها بدم بارد ووقف متظاهرًا بالتأثر أثناء دفنها وبكى كثيرًا جـدًا .. تعلمت أن هؤلاء القتلة يبكون من

التوتر فيحسبهم الناس يبكون بسبب الثكل . بعد يومين جاء ليلاً مع السكرتيرة ليحتفل بالخلاص من زوجته .. وعلى سبيل المرح راح يردد لفظة (جعران) ساخرًا من زوجته وهو واقف على قبرها ... ما حدث هو أنها سمعت اللفظة التى تجعلها تعود للحياة ! »

اتسعت عينا البروفسور فى رعب وقال :

ــ « هل تمزح ؟.. هل تدرك معنى ما تقول ؟.. هذا هذيان .. »

ــ « هل تجد تفسيرًا أفضل ؟.. على كل حال سيكون الأمر هينًا .. لو نبشتم القبر ووجدتم أن الجثة نزعت الغطاء عنها فأنا على حق .. لقد انتقمت الزوجة من الزوج القاتل ثم عادت للموت .. »

ــ « ولماذا عادت للموت ؟ »

ــ « ربما كانت تجربة الدفن أقوى منها ..... »

والعبرة الأخلاقية المستفادة من هذه القصة ، هى ألا تلفظ كلمة (جعران) جوار أى قبر .. خصوصًا إذا كان قبر زوجتك التى قتلتها ...

(ت)

ترنيمة

- 1 -

أى هدية تقدمها إلى الموت يوم يقدم ليقرع بابك؟ آه ، سأضع أمام زائرى كأس حياتى المترعة ولن أدعه يعود فارغ اليدين .. كل قطوف كرومى العذبة ، من أيام خريفى وليالى صيفى .. كل حصاد حياتى الدءوب وجناها ، سأضعه أمامه ، حين ينتهى أجل أيامى ، يوم يقدم الموت ليقرع بابى .. »

طاغور

* * *

أعتقد أن وعيى ينسحب فعلاً ..

من وقت لآخر أفيق لأجد نفسى فى الفراش .. أنظر للساعة لأكتشف أن أربع ساعات قد مرت . متى ؟.. ماذا فعلت فيها ؟ لا أذكر .. لا بد أننى أجلس مفتوح العينين فى غيبوبة Coma Vigil فيخيل لمن يرانى أننى متيقظ ..

هذه علامة مهمة .. الثانويات تزحف على مخى .. ستكون الغيبوبة قريبة ..

جلست فى الفراش ورحت أكتب بسرعة البرق ما أستطيع تذكره فى أى اتجاه وأى مكان .

جاء عزت حاملاً بعض حلوى جوز الهند ـ يطلقون عليها (الحمام) ـ وأصر على أن ألتهم بعضها فأنا أفقد وزناً بلا توقف . لو كانت المشكلة تحل بقطعتين من الحلوى لكانت الحياة رائعة ..

ملأت فمى بالحلوى .. فقال لى :

ـ « يجب أن تتحسن من أجل ماجى .. إنها لا تنام . تشرب القهوة كأنها الماء .. أمس سقطت مغشيًا عليها من الإرهاق وهى جالسة فى الاستراحة ... »

توترت ونهضت ..

هذا هو ما أمقته .. لا أطيق أن يعانى شخص من أجلى . فى كل مغامراتى ومحنتى كنت أفضل أن أكون وحدى حتى لا أرهق شخصًا آخر بمشاكلى .. أرهقه وأتحمل مسئوليته ... هذا عسير فعلاً ..

لكن كيف أتحسن ؟.. لقد حاولت .. يعلم الله أننى حاولت ..

سألت عزت :

ـ « أين هى الآن ؟ »

ـ « فى الفندق .. قد أرغمناها على العودة ... »

تمددت فى الفراش .. أغمضت عينى ورحت أفكر فى عمق ....

لا أدرى متى ولا كيف تم الانتقال ....

فجأة عدت لذلك العالم . هل هو عالمى الحقيقى ؟.. ربما كان كذلك ... ربما هو الموضع الذى جئت منه . ربما وجودى فى عالمنا هذا مجرد ظل كما قال سمير ؟

عزت يسألنى :

ـ « ألست نادمًا يا رفعت على أنك لم ترزق بابن ؟.. لماذا لم تأت للعالم بواحد ؟ »

نظرت له ولم أرد ...

الحقيقة أننى فعلت ذلك فعلاً . لكنها أبوة معطلة من طراز غريب ..

* * *

وداعًا يا صديقى المخلص .

لقد عرفنا بعضنا منذ كنا فى سنى التاسعة والعاشرة ..

معًا تسلقنا الجبال والأشجار ..

تعلمنا الحب وتعلمنا حروف الهجاء ..

خدشنا قلبينا .. وخدشنا ركبتينا ..

وداعًا صديقى .. عسير أن يموت المرء

بينما الطيور تغرد فى السماء

لأن الربيع يفعم الجو الآن ..

الفتيات الجميلات فى كل مكان ..

فكر فى وسأكون هناك .

أغنية لتيرى جاكس

* * *

كنت أواصل المشى مبتعدًا عن مكان اللقاء ..

الأرض لا أراها .. هناك طبقة كثيفة من غاز أخضر بنفسجى تغطى قدمى ، وهو شعور مقلق لأننى لا أعرف ما الذى أدوس عليه فعلاً ...

صف من بنات آوى تسد على الطريق وهى تصدر عواء طويلاً .. صدق المصريون القدماء عندما اعتبروه إله التحنيط ورمزوا له بأنوبيس . بالفعل هو كئيب مقبض يرتبط بالمقابر ..

أحـــاول أن أدور حـــول ذلك الموضع .. ثمة ربوة أتسلقها ببطء ..

ثم أفطن إلى أنها تذوب تحت قدمى .. ليست ربوة بل هى ملايين الديدان الطويلة المتلاحمة التى حسبتها جسمًا صلبًا ... إنها حية ...

إنها بشعة متعطشة للدماء ، ومن فم كل دودة تخرج دودة ، ومن فم الدودة تخرج دودة أخرى بشكل تليسكوبى مريع .. أنت لا تعرف التاليسات أيها الفانى ومن حسن حظك أنك لا تعرفها ، لكن من الواضح أنها هذه .. أنت تعرفها الآن . التاليسات ... يمكنك أن تعرف الهول عندما تراه ...

تدحرجت على الأرض بينما الربوة تتفكك وتحاول أن تحيط بى ... هذه ميتة شنيعة .... أن تجد نفسك مغلفًا بملايين الديدان مصاصة الدماء وسط الضباب الأخضر .. لن تقف على قدميك ثانية أبدًا ...

لكن معنى كلام من كان يخاطبنى أن هذه الكائنات موجودة فى عالم البشر .. لكن أين ؟

عندما تدحرجت قبضت يدى على شمعدان .. شمعدان عتيق الطراز لا أعرف كيف وجد هنا .... هل هو سلاح ما ؟.. كيف يكون الشمعدان سلاحًا ؟

ثم بدأت فكرة تتردد فى ذهنى .... .

نظرت إلى الأفق وحاولت أن أستوعب الاتجاهات ....

متى بدأ كل شىء .. ؟

أين الشجرة ؟.. أين القلعة ؟... أين أنا الآن ؟

ثم خطر لى أن أمشى بضع خطوات فى اتجاه قدرته لنفسى ... لقد زال الضباب عند قدمى ، ويمكن أن أدرك أننى أمشى على عشب أحمر لين ينزف شيئًا كالدم عندما تهرسه ...

عيناى تفتشان فى عمق ...

وسمعت الصوت يتردد :

ـ « أنت فى الطريق الصحيح .. سوف تراه الآن .... »

هنا وجدت ما أبحث عنه ..

الجعران المدفون وسط العشب .. جعران فرعونى من حجر أخضر لا أعرف ما هو بالضبط لأننى لا أملك خبرات جيولوجية كافية ... هل هو بازلت أم يشب أم ... ؟... لا بد أنه من الشازيمايت .. ما هو الشازيمايت ؟.. لا أعرف .. لقد ابتكرت الاسم بنفسى ..

التقطته ووضعته فى كفى ...

شجرة .. جعران شازيمايت ... جيتار .. بلطة ..

شمعدان ... شملة أو تلفيعة .. دمية .

يد مبتورة ...

هذا غريب لكنها الحقيقة ..

كل رمز من هذه الرموز جاء من قصة من القصص التى تتردد فى ذهنى مؤخرًا ، كأنها وسواس .. هناك من يذكرنى بهذه القصص بلا انقطاع ...

الشجرة كانت فى قصة مغيرى الأشكال ..

الجعران المصنوع من الشازيمايت فى قصة الزوجة المنومة مغناطيسيًا ..

الجيتار من قصة أسرة كامنجز ...

البلطة من زنزانة خريولسن ..

الشمعدان فى سهرتى فى بيت بورلى ..

التلفيعة فى قصة المزييرة ..

الدمية هى دمية السحر الذى لحق بالمهندس فى البرازيل ..

اليد المبتورة كانت فى مرسم كراكوس ...

إن هذه الأشياء مبعثرة حول شكل هندسى معين ... لو كانت حساباتى صحيحة فلسوف أقابل المرآة بعد قليل ..

مشيت مسافة لا بأس بها .. أنظر من حولى وأتفحص الأرض ..

(!!)

فى النهاية وجدت المرآة على الأرض .. مرآة مهشمة لكنها كافية لتثبت صحة نظرياتى .. المرآة التى جاء عنها الفتى الذى زعم أنه من أطلنطس ...

إن الرموز التى تركها لى جيلبرت دقيقة فعلاً ..

الأهم أن الأشياء مبعثرة بالضبط على حدود مثلث شاسع متساوى الأضلاع .. تذكر مثلث برمودا ..

لو كانت ظنونى دقيقة للنهاية ، فالشىء الذى يريدون أن أجده موجود فى مركز المثلث ...

ولكن ما هو ؟

* * *

كنت فى الفراش أرتجف وأئن .. العرق يبلل الوسادة ...

لا أعرف ما هو هلوسة وما هو حقيقى ....

هناك قصة أخرى تتداعى إلى ذاكرتى ...

لماذا أتذكرها الآن ؟

– 1 –

ـ « هناك الزيجول الذى يلتهم طبقات الجلد ثم العضلات ويترك الأعصاب ملتهبة حارقة حتى آخر لحظة ... هناك الريموزا الذى يتم إدخاله فى فم الضحية .. تتزايد حرارته مع الوقت حتى يتحول إلى نار محمية تشتعل فى أحشاء الضحية .. هذا موت بطيء يستغرق عدة ساعات ... هناك ديدان الناكاخ التى تقتحم الرأس من الأنف ، وتشق طريقها فى جمجمة الضحية حتى المخ مدمرة كل شىء تقابله .. »

* * *

قال ماكلويد وهو يطفئ النور :

ـ « الآن سوف أربطكما معًا بجنزير من الفضة ... وهذا الجنزير ينقل الطاقة الحيوية من واحد لآخر ... »

قال (آرثر) :

ـ « هل أغمض عينى ؟ »

ـ « لا بأس .. إن الظلام يجعل الأفكار أكثر حدة .. فى الظلام تصل للحقيقة بسرعة .. »

وهكذا أغمض الرجلان عينيهما برغم أن الضوء كان خافتًا فعلاً ...

* * *

كان ماكلويد من الشخصيات العجيبة التى عرفتها فى حياتى . لدى متحف ممتاز فى ذاكرتى أحتفظ فيه بأغرب الشخصيات وأغرب الأطوار .. لا شك أن الرجل له مكان بارز فى ذلك المتحف . لو كان العمر قد امتد بى وأتيحت لى الفرصة لأوقفت كل هؤلاء فى معرض ، بدءًا بعزت جارى وانتهاء بماكلويد .. لو حصلت على جنيه عن كل جولة فى هذا المتحف لصرت مليونيرًا منذ زمن ...

من هؤلاء الذين عرفتهم فى لندن فى تلك الفترة الحافلة من حياتى ، كان البروفسور (جون ماكلويد) ... ككل الآخرين هو بروفسور فى شىء لا تعرف ما هو بالضبط ... دائمًا تكون هناك رحلة لرومانيا أو بلغاريا .. يبدو أن شهادات الدكتوراه تباع هناك على قارعة الطريق .

ثم يعود الرجل ويعذبنا بغرابة أطواره ... ويرينا أغرب الأشياء طرًّا ..

هكذا أنت تعرف نمط ماكلويد ...

أما عن شكله فهو فى الستين من عمره بدين مستدير ككرة .. وفخور بنفسه جدًّا ...

فى أمسية شبيهة بأمسية التنويم المغناطيسى تلك ، استدعونى لحضور تجربة مثيرة يقدمها هذا الماكلويد ..

قال لنا : إنه كان تلميذ المشعوذة الشهيرة هيلين بلافاتسكى ، وقد ذهب معها إلى التبت ورأى معها كتاب ديسان المخيف ..

أنت تعرف أن هناك كتابًا دائمًا ...

قال : إنه تعلم هذه الطريقة من أحد رهبان التبت ..

ـ « كان البطل أيبار واهن الجسد ضعيفًا برغم أن له قلبًا من ذهب .. بينما الأعداء يهاجمون قريته ويحرقونها ، هكذا ذهب لأحد الرهبان كى يبدل وعيه مع وعى أسد الثلوج . هكذا صار أسد الثلوج يملك عقل وعواطف أيبار ، لكنه بالطبع قوى شرس

فتاك ... وقد خرج على الأعداء فمزقهم وأنقذ قومه .. هذه هى الأسطورة ..... »

ثم أضاف وهو يقف أمامنا مستعرضًا كرشه العملاق :

ـ « تعلمت هذه الطريقة وأعرف كيف أطبقها ... »

سأله البروفسور ريدنج فى شك :

ـ « وماذا حدث لأيبار الذى صار يحمل عقل أسد الجبال ؟ »

ابتسم ماكلويد من الدعابة وقال فى كياسة :

ـ « لم تحك لنا الأسطورة كل التفاصيل ... »

ـ « وأنت تزعم أنها ليست أسطورة ... »

ـ « بالضبط .. »

التففنا حوله وظهرت كاميرات تصوير عديدة .. لم يكن هناك تصوير فيديو فى ذلك الوقت ، لكن أحدهم قام بتشغيل كاميرا سينمائية من سعة 8 ملم ..

قدم لنا البروفسور المتطوعين :

ـ « آرثر باكستر ... مهندس .. 35 سنة .. عزب ... »

كان آرثر مهندسًا فى الخامسة والثلاثين وعزبًا كما لا بد أنك لاحظت ... له شعر ثائر منكوش يذكرك بعلماء الذرة فى أوائل القرن الماضى ..

ـ « مورجان داوسون ... محام فى الخمسين من عمره .. متزوج ... »

كان مورجان محاميًا فى الخمسين متزوجًا كما لا بد أنك لاحظت .. أصلع الرأس له ذقن مزدوجة مضحكة .. وهو من الطراز الذى يتعرق بلا توقف ... يمكننى القول إن ضغط دمه مرتفع .. لا أعرف كيف عرفت هذا لكنه انطباع معين ....

هنا تدخلت فى المحادثة :

ـ « لحظة .. لماذا يرغب هذان السيدان فى تجربة كهذه ؟ »

قال ماكلويد :

ـ « سوف أسمح لنفسى بالإجابة عن هذا السؤال .. إنهما يعانيان مللاً شديدًا ويرغبان فى تجربة شىء جديد .. تصور نشوة وإثارة أن تجرب بضعة أيام فى ثياب وحياة شخص آخر ؟ »

قلت وأنا أتمالك نفسى كى لا أنفجر من فرط العصبية والغيظ بسبب عدم التصديق :

ـ « لكن هذا يجلب مشاكل قانونية لا حصر لها .. هل سيتولى داوسون حل قضايا العملاء وهو يحمل وعى مهندس ؟... وماذا عن حياة آرثر مع امرأة ليست زوجته لمجرد أنه يحمل وجه داوسون ؟ القصة معقدة جدًّا .... »

قال ماكلويد وقد بدا أنه تأهب لكل الأسئلة :

ـ « كل هذه أمور توقعناها ورتبنا لها ... هناك عدة محامين يراقبون كل شىء ، أما عن الزوجة فهى فى إجازة خارج لندن .. التجربة سوف تدوم أسبوعًا وبعدها يعود كل شىء كما كان .. »

تعالت همهمات الموافقة ...

عدت أسأل وقد شعرت أننى صرت أكثر شخص مكروه فى هذه التجربة :

ـ « هل سيتم الانتقال حالاً ؟ »

ـ « بل خلال يومين ... »

قال ريدنج :

ـ « الآن يمكننا البدء .. أرجو أن تراقبوا كل شيء .. هذه تجربة يجب أن نراقبها بعناية ولا نفشلها ، لكن لا نسمح لنفسنا بأن نخدع .. »

وهكذا بدأت التجربة ..

* * *

ـ 2 ـ

جلس الرجلان متلاصقى الرأسين ، بينما راح ماكلويد يلف جنزيرًا من فضة حول جسديهما .. ثم رسم دائرة من طبشور حـول مجلسهما هـذا وراح ينثر قطـرات من سائل من قارورة معه ..

بعد هذا أخرج مدية صغيرة وأحدث جرحًا صغيرًا فى كف كل منهما .. تماسك الرجلان ولم يصرخا ... قرب الكفين ليتلامسا ويمتزج الدميان ..

قلت لنفسى : إن هذه الطقوس تماثل طقوس أى ساحر هندى نصاب ، عندما يعلن الأخوّة بين محاربين .. كنت أتوقع شيئًا أكثر ثورية .. ربما سريرا فحص وخوذة على دماغ كل واحد من الرجلين على طريقة أفلام الخيال العلمى ...

الآن هل يرقص حولهما بالرمح وهو يترنم ؟

لم يفعل لحسن الحظ .. لقد راح يردد مقاطع رصينة من كتاب (ثليما) لكراولى ...

بعد قليل فك الجنزير .. ووقف لاهثًا ثم قال لنا :

ـ « بعد ثلاثة أيام يا سادة نلتقى هنا .. سوف تدركون بوضوح أن آرثر صار يتكلم كمحام فى الخمسين ، وأن داوسون صار مهندسًا فى الخامسة والثلاثين .. سوف تدركون أن كل واحد صار يحمل ذكريات الآخر ... »

كانت الإثارة شديدة وتفرق الجميع وهم يتكلمون ويناقشون ما رأوه ..

طبعًا الاحتمال الأكبر هو أننا رأينا عملية نصب ممتازة ... بل كل شىء يقول إنها نصب ، فكيف رتب أوراقه ليقنعنا بعد ثلاثة أيام ؟

سوف نرى .. سوف نرى .

قال لى بروفسور ريدنج :

ـ « صدقنى .. فى مهنتى هذه تعلمت أن النصابين بارعون واسعو الحيلة جدًّا ، ويستحقون كل مليم أخذوه .. إنهم أذكى عينة من البشر على الإطـلاق وما يحصلون عليـه هو مكافأة على عبقريتهم !.. سوف يتصرف هذا الماكلويد ولسوف نزداد ارتباكًا ! »

سوف نرى .. سوف نرى ..

* * *

تشا سارايانا ..

كيو سارايانا ..

جوانغ سارايانا ..

* * *

الجو يعبق بالدخان والإثارة والثرثرة .. لا أميز لفظة إنجليزية واحدة لأن الكل يتكلم فى صوت واحد . هناك صحفيون فى مجلات غير محترمة جاءوا بحثًا عن خبر مسل لقارئ تافه ...

دنت الساعة فحبسنا أنفاسنا ..

لكن ماكلويد جاء وحده .. وحده ممتقع الوجه جاحظ العينين .. جفف عرقه وقال لنا :

ـ « داوسون مات فجأة ... أول من أمس ! »

المحامى الخمسينى مات ؟.. كيف ؟

ــ « لم يستطع الطبيب تحديد سبب الوفاة .. كان فى حالة صحية ممتازة يمزح مع زوجته ويقرأ الصحف ، ثم فجأة سقط رأسه ومات ... »

تعالت الشهقات ودوى أكثر من صوت يقول :

ــ « لا بد أنها تجربتك اللعينة ... »

فقط ريدنج تميز ببعض المنطق والهدوء فسأل ماكلويد فى كياسة :

ــ « داوسون مات .. إذن أين آرثر ؟ أين المهندس ؟ »

ــ « لا أعرف .. إنه مختف تمامًا .. »

سادت الفوضى .. ونظرت لريدنج فى خبث وقلت همسًا :

ــ « هذا هو التصرف البارع الذى تنبأت به .. تملص من نجاح التجربة بأناقة .. »

قال ريدنج وهو يحك ذقنه :

ــ « لا أدرى .. يبدو صادقًا ... »

فجأة خطرت لى فكرة مرعبة ....

قلت لماكلويد وأنا أجذبه من سترته حتى كاد يصفعنى من هذا التبسط :

ــ « اسـمع ... يجب أن نجـد آرثر .. أنـت قادر على أن تجده .. اطلب الشرطة واسأل فى المشارح والمستشفيات .. »

ثم صحت فى دكتور ريدنج :

ــ « هات ثلاثة رجال وتعال معى .. أرجو ألا يكون الأوان قد فات ... »

ــ « لماذا تريد رجالاً ؟ »

ــ « ليس رجالاً فقط .. بل نريد أدوات حفر كذلك ! »

تحركت الأمور بسرعة البرق ..

عند المساء عرفنا أن آرثر توفى فى حادث سير منذ يومين .. لقد دفنه أقاربه فى مقبرة على أطراف لندن . هرعنا إلى هناك وسألنا عن المقبرة ..

أخيرًا نقف أمام قبر حديث مغطى بالأزهار ، وهناك شاهد قبر رخامى يقول (آرثر باكستر) .. وعلى ضوء الكشافات رحنا نزيل التراب عن هذا القبر ..

هتف ريدنج وهو يسعل مما ابتلعه من تراب :

ــ « ماذا تريد إثباته ؟ »

قلت وأنا مستمر فى الحفر وقد أوشكت على الإصابة بنوبة قلبية :

ــ « رجلان تم تبديل وعيهما .. واحد مات بدون سبب واضح .. ماذا تستنتج ؟.. معنى هذا أن الآخر هو الذى مات .... ماذا حدث لوعى الأول ؟.. صار فى جسد الجثة الممزقة فى القبر !.. معنى هذا أن أحدهما أفاق ليجد نفسه مدفونًا فى قبر تحت الأرض ! »

كنا مستمرين فى الحفر وقد تقطعت أنفاسنا ..

أخيرًا ظهرت الجثة .. جثة الشاب آرثر .. كانت جثة هامدة تمامًا ، لكننا أدركنا فى رعب أن نظرة هلع واضحة على الوجه ،

وأن اليدين متشنجتان كأنما كان يحاول جاهدًا أن يزيح غطاء التابوت ...

كنا نرتجف .. كل شىء يؤكد أن هذه النظرية صحيحة ..

قال ريدنج وهو يركع على الأرض جوار الجثة :

ــ « حتى لو كان وعى داوسون فى هذا الرأس . فهو لم يكن قادرًا على أن يحرك جسد جثة هشمتها سيارة ... والسؤال الأفظع هو : هل تعتقد أن وعى داوسون ما زال فى هذا الرأس ؟ يسمعنا ولا يعرف كيف يخاطبنا أو كيف يخرج مما هو فيه ؟ »

نظرت له فى رعب ونظرت لوجه الميت ..

لا أعرف شيئًا .. لا أعرف شيئًا على الإطلاق ...

هـذا الجـزء لم يكتبـه د. رفعت بخط يده ، ويقال إنه تم جمعه عن كريقة لوحة الويجا فيما بعد :

هناك فى مركز المثلث أقف ..

هناك فى مركز مثلث الرموز الذى تركوه لى فى هذا العالم أقف ..

جسدى هناك فى المستشفى .. وقد وضعوا قناع الأكسجين على وجهى ...

المرقاب يدوى باحتفال قصير لكل ضربة من ضربات قلبى .. إنه ما زال حيًّا .. هناك أمل يا شباب ..

شياطين جانب النجوم تجلس أمام التلفزيون تشرب المثلجات وتأكل الفيشار ، وتهلل مع كل شهقة لم تصدر عنى ... لا بد أن لوسيفر مسترخ فى مقعد وثير يشرب الدم فى جمجمة وهو يربت على كتف ابنه فى استمتاع ... رفعت يتعذب .. أليس هذا مضحكًا ؟

لكن فى الوقت نفسه أنا هنا فى ذلك العالم ، وبصحة ممتازة .

برغم هذا لم أمت .. ليس هذا هو العالم الآخر .. أنا فى عالم مواز غريب الأطوار أواجه لغزًا أخيرًا ..

الفئران المشعثة كريهة الرائحة كثيرة هنا ... لو أطلقت لخيالى العنان فهؤلاء أتباع جيلبرت كما قلنا . اليوم هم يبتغون أن يساعدونى ..

إن تحرر جيلبرت هو كذلك تحرر ابنى ..

لكنه اختيار مروع .. مروع بحق ... أن أطلق هذا الوحش فى عالم البشر ..

تذكرته عملاقًا مخيفًا لا تتبين وجهه لكنه مقيد فى كهف فى تلك الجزيرة ، وقد كبلت يداه إلى عارضة خشبية كبيرة على كتفيه .. الكثير من الجنازير والقيود والأقفال .. مشهد من الأساطير الإغريقية ..

ترى كيف يبدو كاتيوم أستاذه ؟

هناك فى مركز المثلث أقف ..

أبحث بعينى عن الحل ..

تصلبت عيناى على رقعة من الأرض ، وعلى الرقعة أزهار جافة وهناك لوحة من الرخام كتب عليها شىء ما ...

عندما دققت النظر أدركت أنه قبر ..

بل هو ثلاثة قبور متجاورة .. كل قبر عليه أزهار وعليه رقعة رخام ... هذه هى القصة الأخيرة التى استرجعتها .. كان فيها قبر يشبه هذا .... .

دنوت أكثر لأتبين المكتوب ...

إنه شاهد قبر عليه حروف عربية .. لكن لا أفهم معناها ..

الشاهد الأول : سعار فى الضياء

سعار فى الضياء ؟ لا بد أن هذا شىء شاعرى .

الشاهد الثانى : سعار فى العتم ...

الشاهد الثالث كتب عليه : سعار فى الفجر..

لا بد أن هذا موقف شكسبيرى آخر من مواقف الاختيار الشهيرة .. دائمًا ثلاثة خيارات .. أحد الاختيارات صحيح والباقى معناه الهلاك حتمًا .. لماذا أختار نوعًا معينًا من السعار ؟

أحد هذه القبور يقود للحل ..

أقف هناك والدخان يتصاعد من التربة .. والسماء تسيل من جديد لتصير سائلاً أحمر مقززًا ... هناك شمس زرقاء مخيفة غريبة تتوسط الأفق ... وعلى الشمس رسمت البقع وجه جمجمة ...

* * *

لست عدّاءً ولا ملاكمًا .. لست موسيقارًا أسكب ألحان حبى فى أنغام يسمعها الناس ويتساءلون : من هى تلك المحظوظة؟.. لن ترى صـورتى فى كل الصحف مقرونة بالمديح لتقولى لصاحباتك : هو ذا رجلى .. ومع ذلك تحبينني؟؟

غريبة أنت .. وذوقك أغرب .. لن أفهمك أبدًا .. لكنى سعيد وفخور .. وهذا هو كل ما أستطيع قوله الآن ... !!

| €´,€´,水,?,? | AVpP77km | {"actor":"125472 | 1 |

* * *

بعد تفكير بدأت أتبين خيط الحقيقة ..

الأمر يشـبه أسـلوب الـ anagram .. أو إعـادة خلط حروف الكلمة لتصنع كلمة أخـرى .. سـعار فى العتم ... نفس حروف اسم رفعت إسماعيل ...

الساحر جيلبرت يقودنى للإجابة ، وهو بهذا يحاول خداع كاتيوم المخيف .. لا يعرف كاتيوم أن تلميذه المخيف السجين قد ترك لى طريقة إنقاذه كاملة عن طريق الرموز ..

سعار فى العتم ...

رفعت إسماعيل ...

هذه هى الإجابة ..

ركعت جوار القبر .. وتحسست الشاهد الرخامى .. إنه ينفتح ..

هناك حفرة تسمح بنزول إنسان .. أعتقد أننى سأكون ذلك الإنسان .. لا شك لدى فى هذا ....

أسـمع الصـوت يدوى بلا توقف فى ذهنى .. يدق كالجرس أو كالطبل .. يدق .. يدق ..

ـ « هذا هو الخيار الأخير ... تقدم .. سوف يتحرر ابنك .. سوف يعود لعالم البشر أو يفنى كالفانين، ويصير ترابًا .. كلاهما ضرب من الحرية ... »

إضاءة زرقاء غامضة ..

أخشى دومًا تلك الإضاءة التى لا يوجد لها مصدر .. تعطينى انطباعًا شيطانيًا مفزعًا ..

ما أراه يبدو كمحراب .. محراب تحت الأرض .. هناك ممر طويل وسط صفين من الأعمدة ... فى نهاية الممر هناك شىء مبهم لا أدرى ما هو لكنه ضخم جدًا ..... .

هناك شموع .. آلاف الشموع لا تدرى من أشعلها ومتى ومن أين استمدت الأكسجين ، ولماذا تصدر ضوءًا أزرق ؟

أنا فى عالم يتحدى المقاييس التى نعرفها ..

ـ « تقدم إلى المحراب وضع ما معك .. الأمانة التى أثقلتك عبر الأجيال .... »

الأمانة ؟

تحسست خصرى .. إننى أحمل الكتاب !

هذا الكتاب مثلى قادر على التواجد فى عالمين .. نسخة منه فى عالمنا على فراش المستشفى ، ونسخة منه فى عالم مواز غريب !

إذن هى المقايضة .. الكتاب مقابل حرية ابنك ..

لو وضعت الكتاب على المحراب فلسوف ينهار الكهف المحيط بجلبرت فى تلك الجزيرة فى بحر البلطيق .. سوف يتحرر من سجنه ومن أصفاده ..

يقولون : إن التاريخ سيتغير ..

يقولون : إنها نهاية العالم كما نعرفه ..

يقولون : إنها بداية عصر من الشر لم يسبق له مثيل ..

وفجـأة فى ظـلام المحـراب رأيت ذلك الشبح الأسود فارع الطول ... شىء يقـف فى الظـل وكل ما فيـه أسود .. ثيابه سوداء .. أفكاره سوداء .. صوته أسود ...

بصوت يشبه الببر يغريك أن تسمع أكثر ، وبلكنة شرق أوروبية ، سمعته يتكلم :

ــ « إننى بلقائك أسعد ولك قلبى يطرب برغم أنها آخر مرة أيها الفانى ! »

صحت فى هلع :

ــ « لوسيفر ! »

لم يهتم باللياقة أو المجاملة .. قال فى إصرار :

ــ « لا تفعل .. لا تفعل أيها الفانى .. سوف يأخذ منك الكتاب ويسحق ولدك ... إنه يكذب .... »

يا سلام ! .. وهل أثق بك أنت ؟ هذا مستحيل ... كلكم ذئاب جائعة لا تريد سوى الكتاب اللعين ...

قال لوسيفر فى إصرار :

ــ « أؤكد لك أنها النهاية .. بى أنت لا تثق ... هذا شىء أفهمه .. لكن لماذا به تثق ؟ ؟... من يثق بساحر شرير من بلاد القوط الشرقية سجين منذ قرون ؟ »

معك حق .. لا أحد ....

* * *

سمبر كريسيس ..

أوت دكريسيس

فيتا ديتستابيليس ..

نونك أوبدورات

إتونك كيورات

لودو منتيس أسييم ..

* * *

ماجى تهمس فى أذنى ..

ــ « نم يا صغيرى .. نم .. لا أريدك أن تتألم أكثر من هذا .. اتل الشهادتين . أنت أخبرتنى أن المسلمين يفعلون ذلك .. هلم . هلم اتل الشهادتين واضغط على أصابعى جيدًا . أعرف أنك تتألم والألم قد تفوق على المورفين .. تفوق على البتيدين ... نم .. لن أكون فتاة شريرة أنانية . يمكنك أن تتركنى إذا كان هذا سيريحك ... »

اضغط على أناملى جيدًا .. هذا يريحك .. أليس كذلك ؟

مررت يدها على بطنى وخطر لها أنها لا تشعر بالكتاب الذى لا أفارقه أبدًا ، لكن من يهتم ؟ فليذهب الكتاب إلى الجحيم ...

* * *

أناملها تريحنى ..

وأنا أحاول أن أجد مخرجًا من هذه الورطة ...

فجأة اهتز المكان وبدأت الصخور تنهمر من أعلى .. هل هو زلزال ؟ هل هو ديناصور يطأ المقبرة؟

ثم رأيت هذا الشىء العملاق المخيف ينتصب أمامى .. كان أقرب لكائن بشرى ضخم . ضخم ترتفع قامته أربعة أمتار .. لا أرى ملامحه بوضوح لكننى أدرك أن شعره ثائر منتفش ولحيته استطالت إلى الأرض .. بخار الكبريت يتصاعد من منخريه .. رائحة أنفاسه مقيتة خانقة ..

كان له ذلك الصوت الثلاثى أو الرباعى الذى تتكلم به الشياطين فى أفلام الرعب .. لكن هذا كله كان حقيقيًا ...

عرفت الإجابة على الفور .. أنت كاتيوم ..

كاتيوم الساحر المفزع الخارق الذى سجن جيلبرت فى ذلك الكهف .. سجنه لأنه أهانه .. لقد وجدنا وعرف ما يجرى هنا ..

ـ « كاتيوم .. »

قال بالألمانية العتيقة ، والتى صرت أفهمها فجأة :

ـ « الكتاب ! »

لا أحد يقدر على انتزاع الكتاب منى دون إرادتى .. هذه قاعدة لا تفشل .. هذا يعطينى قوة لا بأس بها ..

حاولت أن أقف فى ثبات وقلت :

ـ « كاتيوم .. الأسطورة تقول إنك رجل عادل .. سيكون الكتاب فى أمان معك ، بينما لو أخذه لوسيفر أو جيلبرت أو أى وغد آخر فهى الكارثة ونهاية الجنس البشرى .. ليبق الكتاب معك وليبق جيلبرت فى محبسه .. »

ثم ابتلعت ريقى وقلت :

ـ « شرطى هو أن يتحرر ابنى .. هنا والآن .. أرسله إلى حيث يستحق .. إلى الأرض ليصير بشريًا كباقى البشر ، أو اقتله

ليتوفاه الله .. فقط حرره من هذا الجحيم . ودعنى أؤكد لك أنك لن تمس الكتاب قبل أن أعرف أنك حررته ... »

ساد الصمت ، فهو لم يعتد هذا التحدى ...

بعد قليل قال بصوت عميق :

ـ « هذا مطلب عادل ... لكنك لا تعرف ثمن أن تتخلى عن هذا الكتاب لى . سوف ينغلق عليك هذا القبر وتكون نهايتك ... إنه الموت .... فهل تقبل ؟ »

ـ « أقبل ... »

رفع رأسه للسماء وصاح بعدة كلمات .. كلمات قوطية طبعًا لا أفهمها ..

بدأت عواصف ونيران خضراء تتفجر فى كل مكان .. الكهف يميد تحت أقدامنا ... وطاويط حمراء تحلق .. الأرض مدّ من الفئران المشعثة تجرى كأنها أمواج بحر ..

وسمعت صوت سمير الذى صرت أعرفه جيدًا :

« أبى .. أنا تحررت !! ... أبى ! ... أنا تحررت ! ... هلم تعال لى .. عد معى ! »

سمعت هذا الصوت فابتسمت .. لقد فات الأوان ....

لم أعد أرى سوى يد عملاقة مخلبية تمتد لى كأنها تطلب ثمنًا ما .. يد بحجم الكهف كله ..

انتزعت الكتاب من على خصرى ووضعته فى اليد .....

« موتًا تموت ! ... موتًا تموت ! »

« موتًا تموت ! ... موتًا تموت ! »

« موتًا تموت ! ... موتًا تموت ! »

« موتًا تموت ! ... موتًا تموت ! »

« موتًا تموت ! ... موتًا تموت ! »

* * *

فى وقت رحيلى هذا ، ادعوا لى يا رفاقى ! إن السماء تشع بالفجر ودربى جميل يرقد أمامى .
لا تسألوا ما الذى هو لدى لآخذه إلى هناك . إننى أبدأ رحلتى

بيدين خاويتين وقلب يرتجى .
لسوف أرتدى حلة عرسى ، إن ردائى ليس هو بالأحمر الذى يرتديه المسافر ، ورغم أن هنالك أخطارًا فى الطريق فلا خوف فى رأسى .
إن نجمة المساء سوف تبزغ عندما تتم رحلتى ، وألحان المغيب سوف تنطلق من بوابة ملكى .

طاغور

* * *

أتلو الشهادتين ..

وماجى تهمس فى أذنى :

ـ « للأبد ؟ »

ـ « ماذا ؟ »

ـ « هل ستزور أحلامى للأبد ؟ »

ـ « وحتى تحترق النجوم .. وحتى تأتى لى هناك .. آنذاك عدينى أن تكونى لى ... سوف نظل معًا للأبد لا يفرقنا شىء ... هيا .. لا تضعفى ... عدينى .. عدى .... »

في الساعة الثالثة صباح يوم الثلاثاء 8 أغسطس ، توقف قلب الدكتور رفعت إسماعيل عن الخفقان . لقد رحل الشيخ الذى اعتبره البعض نصابًا واعتبره البعض مخبولاً واعتبره البعض خبيرًا فى الماورائيات . وجدنا بعض المذكرات المتناثرة التى كتبها فى أيامه الأخيرة ، ويبدو أن بعض هذه قصص لم يحكها قط. سوف نحاول أن نقدم لك بعضها من حين لآخر فى أعداد خاصة .

المؤلف مع القراء

لما كان هذا هو الكتيب الأخير ، فإننى أرجو أن تسمحوا لى بكتابة هذه الفقرات ما دام رفعت إسماعيل لم يعد معنا .

أبناؤنا قد كبروا وصاروا فى كل مكان ، وانهمرت إبداعاتهم .. لذا لن أنهى هذه السلسلة قبل أن أقدم تهنئة أخيرة لعشرات الأصدقاء الذين قدموا كتبهم الأولى وحققوا نجاحًا كبيرًا :

لا بد من تهنئة المترجم الجميل هشام فهمى الذى ترجم مجموعة قصص غاية فى الإمتاع فى كتاب (المترجم) ، كما ترجم مجموعة ممتازة من قصص ستيفن كنج ، وكذا ترجم رواية فرانكشتاين (النص الكامل) ، ورواية (الناجى) لتشاك بولانيك مؤلف (نادى القتال) . مع هشام تصير الترجمة عملاً مرهقًا مدققًا خاليًا من الثغرات ، خاصة مع لغته العربية الممتازة .

لا بد من تهنئة صديقى محمد عبد القهار الذى قدم رواية (سراى نامه الغازى والدرويش) ، وهى من أفضل ما قرأته منذ أعوام . هذا مؤلف متمكن يسيطر على أدواته بقوة وليس من الهواة .

لابد من تهنئة كاتبة الرعب العزيزة (شيرين هنائى) على رواية (طغراء) التى حققت شهرة ونجاحًا لا بأس بهما ، وهى التى قدمت من قبل (نيكروفيليا) و(صندوق الدمى) .

العزيز أحمد مراد صار مخضرمًا فلن نهنئه هنا على رواية (1919) أو ترشيحه لجائزة بوكر أو فيلم (الفيل الأزرق) .. كما لن نتحدث عن تامر إبراهيم ومسلسل (عد تنازلى) ... هذه أسماء صارت راسخة ، لكن المؤلف يحب أن يعتبر هؤلاء الشباب أخوته الصغار أو أبناءه بشكل ما .

هناك أسماء عديدة .. عديدة لدرجة أنه فاتنى الكثير هنا ، لكن لنعتبرها تهنئة عامة وتحية للفن والجمال .

د . أحمد خالد توفيق

فانتازيا

مغامرات ممتعة فى أرض الخيال

1 ـ قصة لا تنتهى .
2 ـ حكايات من والاشيا .
3 ـ صفر ... صفر ... سبعة .
4 ـ إمبراطورية النجوم .
5 ـ ذات مرة فى الغرب .
6 ـ خيول ورماح .
7 ـ ألعاب إغريقية .
8 ـ مملكة الموتى .
9 ـ الخناقـون .
10 ـ الاسم شكسبير .
11 ـ نـداء الأدغـال .
12 ـ بين عالمين .
13 ـ رجل من كريبتون .
14 ـ من بعد سوبرمان .
15 ـ إعدام فى البرج .
16 ـ شبح وشيطان .
17 ـ اقتلوا بطوط .
18 ـ توم ومن معه !
19 ـ خمسة منهم !
20 ـ من فعلهـا ؟!
21 ـ لا تدخلوا شيروود
22 ـ قلعة السفاحين .
23 ـ أرض .. قمر .. أرض .
24 ـ فليدخل التنين .
25 ـ من أجل طروادة .
26 ـ عودة المحارب .
27 ـ آخر أيـام الرايخ .
28 ـ 1919 .
29 ـ الوطواط .
30 ـ عبقـرى .
31 ـ اسمه أدهم .
32 ـ فى مملكة الأخوين .
33 ـ أيام مع هانيبال .
34 ـ عرض لا تستطيع رفضه .
35 ـ ما أمام الطبيعة .
36 ـ حب في أغسطس .
37 ـ فلاسفة فى حسائى .
38 ـ عينـان .
39 ـ صديقى جلجاميش .
40 ـ أرشيف الغـد .
41 ـ ألعاب فارسية .
42 ـ الملل بعينه .
43 ـ أسطورة نهر .
44 ـ شيء من حتى .
45 ـ تشـى !
46 ـ الحالم الأخير .
47 ـ الساحر وأنا .
48 ـ اللغـــز .
49 ـ يوم غرق الأسطول .
50 ـ هى والأنـا .
51 ـ فلننقذ الدونتشى .
52 ـ ب 4 م .
53 ـ بخـاران .
54 ـ عبقرى آخر .
55 ـ عبقرى آخر .
56 ـ ليال عربية .
57 ـ قصة كل ليلة .
58 ـ البطل ذو الألف وجه .
59 ـ فى جحيم الألعاب .
60 ـ وحدى مع لافكرافت .
61 ـ من قتل الإمبراطور ؟

مشروع القرن الثقافى
روايات مصرية للجيب
فى كل رواية متعة دائمة

ما وراء الطبيعة
روايات تحبس الأنفـــاس
من فرط الغموض والإثارة

24 / 7 / 014



د. أحمد خالد توفيق

أسطورة الأساطير

(الجزء الثانى)

هناك حيث يقف بالضبط بين عالمين
فى الموضع الذى وقف فيه ملايين البشر منذ الخليقة
وسيقفون حتى يوم الدين ، يوشك على مغادرة العالم الأول
واللحاق بالثانى ، يحاول الطبيب الشيخ رفعت إسماعيل أن يميط
اللثام عن لغز جديد . ليس هذا من أجل الحقيقة ذاتها .. بل من أجل
أن يحكى لكم قصة مسلية أخرى .
قد تحب هذه القصة وقد لا تحبها ، لكن تذكر أنها تستحق
أن تُقرأ بعناية .. لأنها القصة الأخيرة .





الثمن فى مصر 500
وما يعادلـه بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم